مهلاً!

يامن تحلمون

تأليف

فاطمة الظواهري

اهـــداء

اليهم .. الى كل من علمنى الحب .. الكره .. الشجاعة الجبن .. المغامرة .. الحذر .. المقامرة .. الخوف .. القوة الضعف .. التسامح .. الجحود ...

علمونى ولم اعمل ابدا بعلمهم .. اجبرونى ولم اجبر على النبيل من اخلاقهم ..

آلمونى ولم اندم على معرفتهم .. قهرونى ولن استسلم ابدا لقهرهم ..

واتمنى لهم ان يتخلصوا من السلبيات السابقة والتى بكل المرارة عرفت معناها .. ويتعلموا الايجابيات والتى ابدا لن انساها ..

كما اخص بالذكر اهدائى وبكل الامتنان والمحبة والعرفان بالجميل كل من وقف بجانبى فى محنتى وضعفى .. واخذ بيدى .. وشد من ازرى .. وقوى عزيمتى .. واولهم واعظمهم والدى .. وولداى اسماعيل ومحمد .. وأصدقائى .. اليهم عظيم شكرى وتقديرى ووافر حبى ومعزتى ...

اليهم اهدى تلك [illegible] مع امنياتى .....

فاطمة الظواهري

فاطمة الظواهري

من الساقطة

هذه القصة حائزة على جائزة الدولة

التقديرية للقصة القصيرة من الدكتور

أحمد هيكل

في حجرتها الصغيرة جلست <<منى>> في محاولة يائسة هزيلة أن تستجمع شتات عقلها لاستذكار دروسها المتراكمة .. كلما تأهبت لفهم واستيعاب درسها لاتستطيع بسبب الشجار والضجيج الدائم بين والديها .. نهضت في عصبية جنونية .. فتحت درج مكتبها .. التقطت قطعة من القطن قسمتها لقطعتين لتضعهما في اذنيها علها تمنع تسرب ذلك الضجيج الهائل .. وراحت تتمدد على سريرها في محاولة للاستسلام للنوم الذي طالما خاصم عيونها . أخذت تلعن تلك الحادثة التي تعرضت لها الأسرة المنكوبة .. كانت الأسرة في طريقها لقضاء اجازة الصيف في الاسكندرية .. أصرت الزوجة على قيادة السيارة في الحاح وعناد .. رضخ الزوج امام عنادها .. واصرارها .. اثناء الطريق اختلست عجلة القيادة منها .. انحرفت السيارة .. انقلبت والنتيجة اصابة الزوج والابناء باصابات عميقة واخطرها اصابة الاب بعجز كامل جعله حبيس الفراش لاكثر من ثلاث سنوات .. مما جعله حاد المزاج .. عصبي الطبع .. ثائرا .. حانقا على كل هفوة تصدر من أي فرد من افراد العائلة صغيرها وكبيرها .. الام متوترة الاعصاب .. دائمة القلق .. وما حيلة <<منى>> المسكينة الا أن تربت على كتفي أمها تارة لتهدئتها ووالدها تارة أخرى .. وهي التي أصبحت مشدودة الاعصاب .. كتومة .. ضاغطة لثورتها على هذا الوضع الكئيب الخانق في ذلك البيت .. خرجت من حجرتها لتتدخل في حل النزاع القائم بين والديها وطلبت من الام أن تخسره

لزيارة بعض الجيران .. لتغير مسار الحديث والمشادة بينهما . عادت الام بعدها هادئة باسمة .. متقبلة بعكس حالتها السابقة مما اثار دهشة <<منى>> ولكن حتما كانت سعيدة بحالة مها سعيدة بابتسمتها التي طالت غيبتها منذ زمن طال أمده ... سألتها في فرحة ساذجة .....

ـ ارجو ان تكوني في اسعد حال .. ماما .. ماذا فعلت ؟

ـ ابدا <<منى>> ذهبت لنزهة خلوية قصيرة .. هدأت خلالها نفسي واشكرك على اقتراحك هذا ..

ـ على العموم هذا افضل الحلول .. كلما تفاقمت الاوضاع واشتد العراك بينك وبين ابي فالافضل ان تتركي البيت قليلا حتى تنفرج الازمـــــة .....

ـ نعم .. نعم .. صبيرتي هذا افضل اقتراح ..

ـ لكن ارجوك ان تعذريه فهو ايضا له الحق .. الضعف كان السبب في عوقه .. فاحساسه بالعجز وطول سكونه جعلاه لايطيق الحياة ..

لم ترد الام بل ادارت ظهرها لها طالبة منها اعداد العشـــاء لوالدها وأعلنت انها لن تأكل وستدخل لتنام ..

طال الحال على ذلك الوضع .. يبدأ الحوار ليشتد هوينا .. هوينا الى أن يصل الى حد العراك وتبادل الالفاظ الحـــادة .. لتخرج <<منى>> طالبة من أمها الخروج بعدها تعود الام متأخرة .. رافضة العشاء .. وتنام .. هكذا .. هكذا تكررت الاحداث ..

وتتالت حتى اصبحت بصفة دورية .. متكررة .. متقاربة الى الحد الذي لاحظت فيه <<منى>> ان امها هي التي كانت تتعمد اثارة الاب العاجز لتوصيله الى حد العراك والعصبية كي تهب خارجة . محتجة امام ابنائها انها لم تعد تحتمل الحياة في هذا البيت . لتعود متأخرة .. وهكذا دامت العلاقة في صورة متكررة مما اثار الشك والريبة من <<منى>> في سلوك والدتها الجميلة الشابة .. تعجبت .. تساءلت .. كم راودها الف سؤال وسؤال وعندما تهم لتســـأل امها في جرأة على هذا السلوك الطارىء على حياتها يمنعهـــا حياؤها لترتد في خجل .. كيف تجرؤ الابنة الشابة ان تسأل امها ذلك السؤال المشين الذي ربما يخدش حياؤها وكرامتها وهي التي كم عانت من خدمتهم .. والتفاني في رعايتهم وخاصة بعد تلـــك الحادثة اللعينة وهي التي حاولت بكل قوتها ان تستمر الاوضـاع في صورة طبيعية في البيت ملبية طلبات وعلاج وخدمة الاب بكـــل الوسائل فلم تشكو .. ولم تثور .. على ارادة اللــه .. فكيف اذا تأتي الآن <<منى>> المسكينة لتتجرأ عل امها وتتشكك في سلوكهـا .. فكيف ؟ .. كيف ؟ ..

تحســـست <<منى>> الاحداث في صمت يلح عليها الاستفسار كـــي تفهم شيئا عن سلوك امها الطارىء .. يحار عقلها الصغير .. يكاد يضيع وسط الاحداث لماذا تتعمد الام اثارة غضب الاب ؟ لتهب خارجة في عصبية جنونية مرتدية اجمل الثياب وفي ابهى زينة لتعـــود

شاكرة .. ومنتشية .. سعيدة .. لماذا ؟ وكيف ؟ وأين تذهب ؟ ..
ومع من تتقابل ؟ الاف من الأسئلة المجهولة الغامضة ضاعت وتلاعبت
<<بمنى>> الشابة الرقيقة .. الشديدة الخوف على أسرتها الصغيرة
المنكوبة .. اسئلة تمرح في اعماق <<منى>> ولا تجد الجسور
للظهور الى عالم الواقع ولا يستطيع عقلها الصغير تفسيرها الا
الادانة أمها بالخيانة .. احساس قاتل بالحيرة والغيرة على امها
والاشفاق على الاب المخدوع العاجز الذي يعبدها ..
اخيرا استجمعت شتات نفسها .. استعادت شجاعتها المفقودة ...
واتخذت أخطر قرار في حياتها .. لماذا .. لاتضع حدا لهذا العبث ؟
لماذا لاتنتهي بنفسها شكوكها في سلوك امها البارىء .. وحتى تضع
الحد الفاصل لتبرائتها .. وفي كلتا الحالتين ستجد الحل على
الاقل ستستريح من دوامة الشك القاتل الرهيب الذي تضيع معه
ملايين المرات عقب كل خروج لامها .. تابعت <<منى>> الاحداث في
ذلك اليوم المشئوم وكانت على اتم الاستعداد للخروج عقب خروج
امها بعد تلك المعركة والمشادة المفتعلة بعدها تندفع الام
خارج البيت كالعادة تندفع في اثارها <<منى>> بعد ان خلعت عن
نفسها ثوب التردد والضعف تاركة كل شيء فداءا للحقيقة ..
لاشيء الان من المشاعر يسكن في اعماقها سوى الشك القاتل ..
وما ابشع أن يشك الانسان في أقرب الناس الى قلبه .. وما أقسى
أن تتدمر المثل العليا وتنهار الكعبة المقدسة بعد حياة طويلة
من الاحترام والتقديس والايمان ...

تتابع <<منى>> خطوات امها في حذر .. تتطلع الشوارع المزدحمة في اعقابها كل همها الان الا يهرب شبح الالم وسط امواج البشر .لا شيء يهم في سبيل الحقيقة ..المعاناة تهون حبا في كشف الخفايا الكئيبة المظلمة واخيرا ..اخيرا وبعد طول عناء ومشقة .. دلفت الام الى مكان تتذكره <<منى>> جيدا بل رأته كثيرا في الاحياء الشعبية .. مبنى قديم اثرى .. واضح انه ليس بيت يصلح للمعيشة الدائمة ..استوضحت الامر في ذهنها المتزاحم بالشكوك والاستفسار وايقنت سريعا انه ذلك المكان الذي يأوى اليه الفنانون للاسترسال في فن الرسم .. سريعا تذكرت اسمه << اتيلية >> وبينما هي غارقة في تساؤلاتها عن هذا المكان الذي دلفت اليه امها حتى افاقت على منظر من اقسى وابشع واهول ماتتخيله شابة في مثل عمرها .. كانت تصرخ .. تسقط من هول المفاجاة التي كانت تدمر كيانها في لحظة .. فقد رأتها .. رأت امها في احضانه .. وركزت بكل قوة نظرها على ذلك الذي اختطف اعز اقرب الناس اليها بل الى عائلة باكملها .. كادت المفاجاة تسحقها حتى تسمرت قدماها .. تجمد جسدها .. شل عقلها لم تعد تقوى على الحركة او على التفكير ثم التصرف في ذلك الموقف الدامى لكرامتها .. وكرامة احب الناس اليها .. كادت تصرخ ولكنها كتمت وخنقتها بداخل صدرها وابتلعتها .. دفنتها في اعماقها فتزلزل لها كيانها .. وادمت معها قلبها .. اعماقها .. شردت .. ظلت متجمدة في حالة من الذهول ولم تفق الا على صوت اغلاق الباب وهو يحوى داخله ابشع جريمة لاحط مخلوقين في الحياة ...

ارتدت <<منى>> فى حالة يرثى لها الى البيت الكئيب جابرة نفسها على أن تكون بحالة غير التى كانت عليها حتى لايلحظ أبيها المسكين حالتها .. وكيف لا .. وهى التى حتما ولابد أن تحافظ على كيان هذا البيت المتصدع الذى على وشك الانهيار .. كيف تستطيع المسكينة أن تحول ذلك الشعور بمرارة العالم فى حلقها .. كيف تحوله وفى لحظة غير ذلك ولكنها فى محاولة قاسية مريرة استطاعت أن تستبدل مشاعرها جابرة عضلات وجهها على الابتسامة والمناقشة السريعة فى السؤال عن صحة أبيها وحالته .. كلما عادت الى البيت كالعادة .. شعرت خلالها أنها تمر من ثقب ابرة فقد كانت أقسى لحظات عمرها وأتعس وأمر فترة مرت بها .. كادت تنهار فى لحظة أمام أبيها ولكنها تداركت الأمر وحاورته سريعا .. انطلقت كالسهم من أمامه حتى لايلحظ ماهى به من معاناة وصراعات دخلت المسكينة حجرتها .. ألقتها .. راحت فى دوامة قاتلة .. غارقة بين أحزانها ودموعها تنعى وترثى لشرفها وأمها .. تلطم خديها .. تضغط أسنانها حتى تتحطم أوتكاد فلم يسعفها عقلها فى التصرف السريع . أستسلمت لليأس القاتل والفشل الذريع فى التصرف السريع .. استسلمت لليأس القاتل .. ومن أين تجد الحل وهى الصغيرة المطعونة من أحب الناس

واحسن الناس .. تاهت .. ضاعت وسط الاف والاف الحلول والتصرفات التى لافائدة منها .. وكيف تجرؤ على مواجهة أمها بالحقيقة .. وباى عين تجهر أمامها بما رات وما سمعت .. كلما اهتدت الى شيء رجعت وارتدت من حيث بدأت فى ثورة جنونية صامتة .. وأمواج دمعية ثورت لها عيناها .. ظلت على وضعها الكئيب هذا ايام مرت عليها كانها الدهر وهى بين حالتين متناقضتين امام العائلة فى وضع تمثيلى بالحياة العادية تارة .. لتنفرد بنفسها فى حجرتها ليفترسها سرها المهول الذى حرمت على الا يلحظه أحد حتى تهتدى الى أفضل الحلول .. واخيرا لاحت لها فكرة قد تكون غريبة كبيرة على نفسها .. ولكن رات فى خيالها الضيق المحترق أن تغامر بنفسها .. تغامر بحياتها كى يستمر هذا البيت فى مساره الطبيعى العادي فكم يحتاج هذا البيت وذلك الأب العاجز للأم بكل الطرق وشتى الوسائل حتما ولا بد أن تتواجد فى بيتها رغبت أم لم ترغب ..

فى صباح يوم مبكرا ارتدت <<منى>> اجمل وافخر ثيابها وتزينت باتقان وذوق حتى بدت كعروس فى ليلة زفافها .. كملاك فى عرس السماء .. كملكة يوم تتويجها .. خرجت وفى صدرها عكس مظهرها الخارجى الجميل

— صباح الخير .. انا <<منى>> طالبة جامعية حضرت لسيادتكم

حتى اتعلم فن الرسم بافنان فهو هوايتى المفضلة و أريد تنميتها ..

لم ينطق بكلمة بل فتح فاه فى بلاهة وذهول .. ربما أعجبته الى تلك الدرجة الواضحة عليه .. اجاب فى هدوء متعلثم

— أهلا .. أهلا .. اتفضلى .. بس مين قال لك انى ..

قاطعته فى دلال والحاح .

— سيادتك معروف وسمعتك فى الرسم خاصة و الفن عامة كالنار .. أرجوك أرجوك لاترفضنى .

— بس انا مش فاضى .. انـــــا ..

قاطعته مرة ثانية فى الحاح ودلع

— أرجوك يا استاذ انا مستعدة ادفع أى مبلغ .. طيب ياسيدى اعتبرنى بشتغل موديل عندك و انا استفيد و انت تستفيد .. هيه مش فكره برضه شرد قليلا .. فجاه برقت عيناه .. رفع حاجباه علامة على الاقتناع وهز رأسه فى هدوء .

— و الله فكره .. خلاص ياستى انا موافق .. بس تسمعى كلامى

— انا تحت أمرك وكل ما تطلبه منى سانفذه بالحرف .. بس عندى شرط رد فى استنكار مصطنع ...

احنا حنبتدى من دلوقت .. شرط ايه ؟

ردت عليه فى سرعة خاطفة

— لا يا استاذ ده شرط صغير جدا .. أصل احنا من عائلة محافظـــة

ومش عاوزه أى مخلوق يراني هنا .. ولا يعرف عني حاجة

ـ خلاص ياستي أنا موافق .. بس كده .. وضحك ضحكة ساخرة همت

أن تتصرف .. لكنه قاطعها في الحاح وتودد

ـ ايه انت بخيلة ..ولا ايه .. وقت الفنان ثمين لازم نبتدى

من دلوقت أنا مش فاضي بعد كده .. تشربى ايه

ـ حاضر يا استاذ .. من فضلك أشرب شاى

هب سريعا .. داخل مكان مظلم .. مغلق .. يبتعد قليلا عنهما

وما أن انفردت «منى» بنفسها حتى رمته بنظرات فاحصة ..

قاتلة .. تحمل كل الكراهية والحقد والحنق عليه كأنها تصب

عليه لعناتها السامة متمنية له كل سوء .. لقد منه الشباى

لا لشيء الا لانها ارادت أن تعطى لنفسها الفرصة لتتطلعه

وتتفحصه في صمت مريب قاتل .. تفحصته جيدا .. فهو نعم وان

كان رجل وسيم .. أنيق .. قوى البنية .. كامل الرجولة وذلك

واضح في صوته العريض .. الرخيم .. وشعره الغزير .. وعينيه

الواسعتان السوداويتان وسمرته الصافية .. وطوله الممشوق ..

كل ذلك لم يعط العذر لامها أن تقع في غرامه .. في خيانة

أبيها المخدوع العاجز .. لم يشفع عندها في حرمانها الذى

عاشت فيه سنواتها الثلاث .. وهى فى عزلة تامة عن الناس ..

متفانية في خدمة أبيها بل العائلة بأجمعها .. كل ذلك لم

يشفع عند «منى» عندما رأته «وقوفا» ..

تنهدت . تنبهت على صوته الخادم وهو يحمل كوب الشاي فى يده بلا أي حامل .. قائلا لها وهو يبتسم فى لهجة أمرة بمزاح ..

ـ<<منى>> هانم بعد كده لازم تعملى لنفسك كل حاجة هنـا ..

أنا ماشى بنظام <<اخدم نفسك>> فاهمـه

ردت متلعثمة فى محاولة لاخفاء دموعها لتستبدل عنها نظرة الحزن والالم بالابتسامة المزيفة التى تضعها فوق شفتيها فى اجبار وعذاب صامت حزيـن ....

رجعت <<منى>> الى البيت لتجد امها على أهبة الاستعداد للمعركة المزيفة التى تفتعلها امها كالعادة .. رمتهـا رمتها بنظرات ساخرة تحمل كل الاحتقار والتقزز .. ومـا ان همت ان تشكولها ابيها كالعادة .. حتى قاطعتها فى هـدوء مصطنع واسلوب ساخر

انت عارفة الطريقة .. مستنيه ابيـه

همت الام خارجة .. تسب وتلعن العائلة وما فيها .. تنبهت <<منى>> على اغلاق الباب خلف أمها فى عصبية .. هزت راسها فى لامبالاه << اذن بدات المعركة ياامى .. وحتما سانتصر .. حتما .. فلا ولن اتراجع مهما كلفنى الامر من مشقة وتضحية حتى اخر العمر كى تعودى . تعودى لبيتك ورجلك العاجز الذى يعبدك ولا حياه لـه بدونـك >>

تنبهت على صوت ابيها ينادي عليها كى يشكو لها عصبية امها

وفقد انها صبرها كالعادة .. ردت عليه فى ابتسامة مصطنعة

.. اجبرت شفتاها عليها حتى اعتادتها ..

ـ اطمئن ابى فحتما امى راجعة .. حتما ستعود .. ستعود وتطلب السماح و المغفرة سامحها فهى ايضا تعبت وكل شىء له نهاية وحدود اطمئن .. اطمئن لم يفهمها الاب المخدوع وما ان اعطته الدواء حتى راح فى نوم وغفوة سريعة ربتت على كتفه وقبلته فى حنان بالغ واسى حزين فقد طعنه القدر مرتين فى جسده وشرفه ...

وكانت ثانى زيارة <<لمنى>> عند الاستاذ <<رؤوف>> وقد تغيبت عنه متعمدة ذلك حتى ترى التاثير الذى كان واضحا عليه عندما استقبلها

ـ <<منى>> انه منى اين انت ؟ لقد تاخرت.. تاخرت.. كثيرا

ـ اسفه سيدى فقد كنت متعبة .. مشغولة .. وايضا لم نتفق على ميعاد الزيارة والدرس

ـ اذن ساحدد لك جدول الحصص .. ولابد ان تلتزمى بالمواعيد . فانا انجليزى الطبع .. احترم المواعيد جدا . فاهمة <<منى>> هانم

اعتبر ده امر .. لكنى لا احب الاوامر

ـ عفوا سيدتى الصغيرة فانا لا اجرؤ على اصدار الاوامر ولكنى

فقط امزح معك .. ايه .. زعلت .. اسـف

بادلا في ذلك اليوم حديثا طويلا فتح خلاله قلبه لها في طفولة ساذجة عرفت منه انه نشأ في الحياة يتيم الام وقد ذاق الامرين من زوجة ابيه الذي كان مقصرا في حقه كثيرا . مستسلما لاوامر زوجته القاسية الحادة الطبع .. همـت بالانصراف .. توسل اليها ان تبقى قليلا .. شعرت <<منى>> بان الصيد قد وقع في شباكها .. تأكدت من ذلك في شغفه بيده الباردة المتوسلة لها في البقاء قليلا

إستاذ <<رؤوف>> أرجوك انا لا احب تلك المعاملة المعتادة والنظرة الطامعة بين رجل وامرأه .. لابد وان تبقى كما انت .. لابد ان تثق انني اتيت اليك حبا في الفن .. والفن فقط .. لاشيء آخر

قالت كلماتها هذه بكل الاصرار والتحدى . وقد حملت كلماتها كل الكراهية والجحود وقد صبتها عليه بكل قسـوة

إسف واعتذار بمرارة وندم قاتل منـه

غابت <<منى>> عن <<رؤوف>> اكثر من اسبوعين متعمـدة بذلك الاذلاله وقد بدا واضحا هذا في لقائهما .. عاتبهـا .. واعتذر .. توسل وندم .. كل ذلك في كلمات متقطعة كادشهـا البكاء .. الاذلال بعينه .. حتى طلب منها ان يرسم لها صورة حتى تراقبه عن غيابها .. رفضت .. بشدة وعنف وقد كان لديها العذر الكافي .. وهي الحريصة على الاتراها امهـا فتفقـد

ما حرصت على تخطيطه فى سرية تامة .. تكررت الزيارات وفى كل مره يزداد شوق<<رؤوف>> ومعه تزداد فى الالفه .. حتى صارحته ذات يوم انها تعرف الكثير من سلوكه وعلاقتـــه بالنساء .. استنكر ذلك باصرار منكرا كل علاقة بالنساء حتى واجهته ذات يوم بانها ترى وتعرف جيدا امـــرأة ذات اوصاف معينة .. وما ان واجهته باوصاف امها وذلك بكل دقة بالطبع حتى انهار تحت قدميها .. بكى كطفل فقد امه .. اعترف لها بصحة العلاقة فى ذهول سمعته .. وفى صمت تركته يسترسل فى الاعتراف .. وهو لايدرى انه بكل كلمة يعترف بها هى مـن امها .. سمعته وفى كل كلمة تدخل لا لاذنيها بـل لقلبهـــا كالرصاص القاتل حتى لم تعد تحتمل سماع المزيد .. صرخـت فيه .. صفعته بكل قوتها الهزيلة صفعة فهم منها انها دليل الغيرة والمحبة .. لم يفهم حقيقة الموقف فقد كـان الاخـــر ضحية .. صرخت .. بكت .. سقطت فى شبه اغماء .. ضمها الى صدره محاولا اعادة الوعى لها .. دفعته عنها .. حاولـت ان تحث فيه الضمير .. تضيقه من خطيئته علّه يبتعد عن امها

— الم تعرف عنها شىء ؟ الم تعرف انها زوجه .. ام ؟

صدقينى لا .. لا اعرف .. لا اعرف

— اذا انا أعرفها جيدا وأسمع عنى قصة هذه السيدة الملعونة

.. انها زوجة لرجل عاجز .. فقد القدرة على الحركة بسبب

طيشها .. واصرارها .. وعنادها .. وأسرة منكوبة هى

مادها .. هى كل أملها .. كيف يطاوعك ضميرك بعد كل ذلك

أن تستمر معها ..

رد فى ألم واستنكار محاولا أن يدفع عنه تهمة بشعة تكهده

ووصمة لا يتصف بها أمام <<مناه>>ى الغالية

— لا يامنى انا صحيح كنت محتاج لعلاقة حب من هذا النوع

.. ولكن بعدك بعد أول زيارة منك شعرت بشىء آخر مختلف ..

وقبل أن أعرف حقيقة هذه السيدة قررت أن أقصيها من حياتى

.. لانفرد بك ولك .. أنت شىء آخر مختلف وقد شعرت معك

غريب لم الحقه .. لم لأعرفه من قبل فكيف .. كيف استمر

معها بعدك ؟ كيف .. ؟ خاصة بعد أن عرفت حقيقة ظروفها ..

وهنا لاحت أمامها بارقة الأمل المنشود .. والشعاع الماسى

الذى طالما سعت لتحقيقه .. ابتسمت فى فرحة وسذاجة الأطفال

— <<رؤوف>> يعنى صحيح ستقطع علاقتك بها .. خلاص .. توعدنى

.. ماهو إنا ياانا يا هى .. لك أن تختار

رد بسرعة عليها فى لهفة وسرعة خاطفة

— لا <<ياحبيبتى>> لاتقارنى نفسك بها .. بامرأة ساقطة .. باعت

باعت ضميرها وحياتها الكريمة من أجل شهوتها وشبابها ...

هنا تنهدت <<منى>> فى ذهول كأنها تلقت صفعة على غفلة ..

عرفته به فلم يقاومها قلبها ان تسمع على امها هذه الصفات الحقيرة .. تألمت في صمت حزين دافـــى ...

لا .. لا .. <<رؤوف>> لاتقسو عليها .. لاتظلمها الى هذا الحد لابد وان تكون قد قاومت وتحملت وتحملت الكثير .. فهى لابد وان تكون لديها الف عذر فالحرمان شىء قاسى

ــ <<منى>> حبيبتى دعينا منها .. واعدك فى الزيارة القادمة ستكون قد خرجت من حياتى والى الابد .. هى حقا تحبنى كثيرا ومش عارف اقول لها ايه ولكن حتما سوف اواجهها بحقيقتها واحاول ان اخنق ضميرها .. فربما يستيقظ وتعـــود لوعيهـــا وزوجها فزوجها العاجز واولادها حتما اولى منى بقلبها ..

وهنا .. هنا فقط كادت <<منى>> ان تسجد على الارض لتشكر الله على نجاح حملتها .. تنبهت فى اخر لحظة لوجود <<رؤوف>> وهى التى كانت حريصة على السرية والكتمان .. نظـــرت لـــه نظرات عميقة كلها شكر وامتنان وتقدير واحترام على تركـــه لامها لها .. بالاسف لم يفهم شيئا .. بل فسر كل ذلك بأنـــه الحب وكل الحنان منها له ... ضغط على يدها بين يديه فـــى حنان شردت بعيدة منفردة بسعادتها الاكيدة .. تركت نفسهـــا بين ذراعيه لاتريد ان تضيق من سعادتها بعودة امها ,احتضنها .. قلبها بكل الحب واكتنازه طوال شهور ماضية لم يلمسهـــا لمسة واحدة .. وتذوقت المسكينة اول قبلة حب ذاقتـــــها

شفتاها .. بل لمست قلبها الأخضر الصغير الذي لم يتذوق طعم الحب أبدا .. لم تقاوم .. فلم تستطع أن تقاوم ليست فرحتها هي السبب .. ليست سعادتها بانتصارها هي السبب الأول والحقيقي .. للأسف شعور آخر .. أحاسيس مختلفة وقد انتفضت وتبعثت بداخلها فجأة لتلمس بل تستقر في أعماق .. أعماق جذور قلبها .. كيانها .. ضلوعها .. طالت لمستها الأولى وهي مسترسلة هائمة .. ساهمة .. تنبهت .. انتفضت .. صرخت .. بكت كمن لم تبك من قبل .. حاول الاعتذار واعدا إياها بالا تتكرر إلا بعد الزواج .. صرخت فيه في لوعة وألم وعذاب يتضاعف عما ذي قبل وتنبهت .. بل تنبه الاثنان على صوت خطوات طالما عرفتها خائفة .. نهضت <<منى>> سريعا لتختبئ وقد اهتزت الأرض تحت قدميها .. فقد أيقنت ذلك الصوت فهو حقا صوت أمها القادمة وقد ارتمت بكل قوتها وبكامل جسدها في أحضان <<رؤوف>> وقد رأته بعينيها وهو يدفعها عنه في تقزز واحتقار وقد واجهها بكل الحقائق عن حياتها .. وقد أعلنت بين دموعها حبها الجارف له وأنها ستطلب الطلاق وستبيع العالم حتى تظل بجانبه وتتزوجه إذا أراد رفض كل عروضها .. أصرت على بقائها ز دفعها معلنا نهاية العلاقة وخاصة بعد علمه بظروفها .. حاول أن يبلغها من سكرتها

ولكنها اصرت متمسكة به وبحبه مدى الحياة .. صفعته .صفعها .. هددته بالقتل .. لم يهتم .. دفعها امامه محتما اياها على البقاء بجانب زوجها العاجز و أولادها المساكين .. خرجت بعد مشادة وعصبية جنونية كادت تفقدها عقلها وما ان اطمئن لخروجها تماما حتى عاد الى <<منى>> فوجدها غارقة فى دموعها .. حالتها سيئة .. كلما حاول لمسها لفظته فى تقزز .. تتعجب لحالتها .. طلب منها ان تقول اى شىء .. أى امنية .. حتى لوطلبت أن يبيع العالم ليسجد تحت قدميها .. بالفعل انهار امامها لاول مرة ترى <<منى>> دموع الرجال مما زادها عذابا فوق عذابها ...

انصرفت <<منى>> واعدة اياه ان تعود اليه عندما تتحسن حالتها .. رجعت المسكينة لبيتها لترى امها شاحبة .. حزينة .. شاردة وفى كل يوم يمر كانت حالتها تزداد سوءا فتسعد لذلك وتتيقن ان <<رؤوف>> مازال على وعده لها .. فيزداد حبها ويتأمل ويتعمق اكثر واكثر .. لكنها تنبهت الى انها تقع فريسة للوهم والمستحيل .. فكيف تستمر وتستسلم لحب محرم .. حب مستحيل .. حب لايمكن ان يرى النور لقد نسيت قبل ان تسلم قلبها <<لرؤف>> انها تقامر به فى لعبة خاسرة . فحتما ولابد ان تشق صدرها باظافرها لتؤد اول جنين للحب فى قلبها وقد كبر وملا حياتها .. كل كيانها .. اين كان العقل منها حينما سلمت <<رؤوف>> القلب كاملا .. اصرت على وضع

لحبها المحكوم عليه بالفشل بل الاعدام .. غابت <<منى>>
وطالت غيبتها عن <<رؤوف>> وفى كل مرة ترى فيها امها
منهارة .. شاحبة .. تشفق عليها ولأول مرة تلتمس لها
الاعذار ولما لا وهى التى شربت من نفس الكأس التى شربت
منه امها المسكينة ..

مسكينة يا اماه كان الله فى عونك فمصيبتك أكبر و امر ..
اما انا <<ورؤوف>> فلنا الله ..

ذات يوم حضر <<رؤوف>> لها فى الكلية .. رأته .. كادت
المفاجأة ان تسحقها لقد انخلع قلبها من بين ضلوعها ..
رأته انه هو <<رؤوف>> ولكن المظهر مختلف عما تعودت ان
تراه عليه .. انطلقت لحيته فى اهمال .. شاحب اللون ..
الح عليها فى الحضور .. لم يتركها الا بعد ان وعدته
بالحضور سريعا فور انصرافه .. خشيت <<منى>> ان يعاود
الكرة فيخطب امام الزملاء لكنها فى الحقيقة انساقت وراء
نداء قلبها .. انتحلت الحجج كى تنفرد به .. تسمعه
ويسمعها .. تراه ولو لاخر مرة .. تحاول اقناعه بالنسيان
يذهب كل فى طريق .. ذهبت اليه فى خطوات ثقيلة . منهارة
تماما .. دخلت عليه وما ان رآها التقطها بين ذراعيه
بكى على صدرها بدموع ونشيج طفل شعرت ان دموعه تحترق

جسدها لتستقر باعماق قلبها .. تختلط بدمائها .. اختلطت الدموع وما انسى ان تختلط الدموع .. قبل ان تهم شفتاها على النطق بكلمات الفراق الح عليها فى استفسار النبل عن غيابها طوال هذه المدة .. طرق الباب طرقات ظالمة عرفتها الاثنان .. همت <<منى>> لتختبىء .. دخلت امها .. القت بجسدها تحت قدمى <<رؤوف>> تقبل ساقيه متوسلة اليه ان يعودا كعهدهما .. دفعها فى عنف شديد صفعها بكل قوته .. فهى اذا السبب فى غضب معشوقته الغالية .. فى عصبية جنونية هددته بانه لاحياة له بدونها ولاحياة لها بدونه الا الموت .. الموت هو نهايتنا .. سأقتلك يارؤوف وسأقتل نفسى بعدك فى لحظة خاطفة امسكت بحقيبة يدها .. اخرجت منها مسدسا وما ان همت ان تصوبه نحوه .. انطلق تجاهها كالسهم محاولا اجبارها على ترك المسدس من يدها التى استماتت فى التمسك به .. خرجت رصاصة طائشة لتستقر فى صدرها .. سقطت غارقة فى بركة من الدماء وقد فارقت الحياة .. خرجت <<منى>> من مخبأها فى حالة رعب منطلقة بكل قوتها تجاه الباب .. تفر هاربة قبل أن يكتشف امرها ..

تم القبض على <<رؤوف>> متهما بقتلها .. وللمرة الثانية دخلت <<منى>> المسكينة فى دوامة قاتلة ولكنها هذه المرة تحمل اكثر من تضحية .. فالمأساة عظيمة قاسية ..

الضحايا منهم المتهم والبريء .. وبيدها .. بيدها هي فقط اعلان الحقيقة البشعة التي وان انبثقت من بين شفتيها ستسحق عائلة باكملها وسيزداد عدد الضحايا الابرياء .. وتكسر كل شيء .. واي شيء .. نفس الشيء الذي حاربت من اجله .. وغامرت وقامرت من اجله ....

الضحايا كثيرون .. والدتها .. والدها .. اخوتها .. قلبها .. حبيبها فمن اين تجد الشجاعة لمواجهة الحقيقة واعلانها .. وقعت المسكينة في شباك اخطبوطية نسيجها خيوط من الحقيقة والانانية .. الصدق والكذب .. الصراحة والنفاق

واخيرا اخيرا تقطعت كل الخيوط ليبقى خيط واحد أبدي دائم وهي تتجه نحو النهاية لتدلي باقوالها . !!!!

==*=*=*=*=*=*=*
==*=*=*
==*

انهم يتسولون السعادة

لا ادري لماذا هدتني حالته .. رجل وقور .. ناضج رزين لمحته يجلس بعيدا وحيدا يدخن سيجارته في هدوء يشرد مع دخانها الابيض السابح في الهواء كانه يهيم ويسبح بين امواج ذلك الدخان الابيض الكثيف الذي ينفر من أنفه تارة ومن فمه تارة اخرى

تاملته في بادىء الامر في لامبالاة .. تفحصته قليلا , وقد انصرفت عنه لمتابعة الحفل الساهر الذي كنت مدعوة اليه تلك الليلة .. تخلصت من معية بعض الاصدقاء والزميلات المهرجين او الماجنين .. ذهبت لابحث عنه في اركان الصالة الواسعة المكتظة بالمدعوين .. لم اجده , زفرت ضيق انفاس .. فكم شدتني نظراته الصامتة الحزينة التي ابدا لم يكن لها اي معنى للوجود وسط هذا الحفل وفي تلك المناسبة , فقد كان الجميع وفي كل الاعمار من الجنسين ينطلق في لهو ومرح .. لاوقت الان ولا مكان للاحزان .. فكل ينسى احزانه والجميع في صخب وضحك وفرح ومرح , فهم ياكلون بلا شهية .. يضحكون بلا سبب يلهون بلا داع كل منهم ينسى او يحاول ان ينسى همه ... يهرب من احزانه ما عداي انا وهو لذلك هدتني حالته وعقدت العزم على البحث عنه والتعرف عليه باية وسيلة واقولها بصدق وصراحة هذه لاول مرة اشعر فيها انني الهبة في تجاذب اطراف الحديث معه فكيف الان استطيع

التقرب اليه .. ادنو له .. اعثر عليه بين هذه الكتل البشرية الصاخبة .. "تأففت كثيرا من فضول الزملاء وبعض الصدقاء من مطاردتي باسئلتهم المتكرره ونظراتهم المتطفله

وبينما انا في محاولة للهروب من جوهم الذي كان بالفعل يرونني ولا يلائمني .. خرجت الى احدى الشرفات شبه المظلمة لادخن سيجارتي وحيدة وقبل ان امد يدى في حقيبتي للبحث عن لبة الثقاب وجدت يدا تمتد نحوى بعود ثقاب مشتعل وقبل ان اميل برأسي لاشعل السيجارة لمحت عينيه تلك الصامتتين الحزينتين وذلك الرجل الشامخ الوقور .. كدت ان اصرخ من فرط سعادتي للعثور عليه .. انه هو الذي ابحث عنه بين الكتل البشرية في ذلك الحفل وربما شغلت به عن اشعال السيجارة من ثقابه .. ظل ممتد اليد بعود الثقاب المشتعل وربما لم يشعر قرب اللهب من اصابعه حتى كادت ان تحترق فالقي باللهب بعيدا .. ادركت انه سيلعنني او يثور علي" ولكنه ابتسم بتسامة لاتعلن عن شيء واعاد يشعل لي عود آخر ولا زالت بتسامته الخاطفة التي ما فهمت منها معنى لها بل تكفل الما ومرارة وبرودة كالبرق الخاطف في ليالي الشتاء القارس .. اطفات الثقاب سريعا ودسست سيجارتي في الحقيبة حتى لاتشغلني عن الحديث معه وكم كان بداخلي الحاح غريب ورغبة جامحة في التعرف على ذلك الهرم الشامخ الصامت .. سريعا

نطقت حتى لا أضيع الوقت .

ـ فريدة .. انا اسمى فريدة   وانت ؟

ـ نــــادر

فى تعجب ودهشة رددت .. كررت عفوا سيدى .. انا اقصد اسمك ولا شيء آخر يعنى الندرة ابتسم نصف ابتسامة .. ضغط أسنانه فى غيظ .. ربما غبائى وعدم قدرتى على فهمه سريعــا وردد فى هدوء لينطلق مرة اخرى نفس الكلمة السابقة نطقها .. ياهانم .. انا ؟ لا اقصد شيئا يعنى الندرة بـل انــا اسمى هكذا نادر .. نادر حلمى! هل عندك اعتراض على اسمى هكذا فضحكت ساخرة من غبائى لعدم ادراكى له , وضحك هـو ضحكــة لاتعنى أى شيء ... اشـــار بيــــده

عفوا سيدتى .. لم يحدث شيء وبدات اقترب منه فى حذر , لقد ادركت انه منطو مهموم من النوع الملول! وقد كان واضحـــا عليه عدم رغبة فى التعرف مع أحد .. لم تكن له رغبة فــى شيء اى شيء حتى فى القدرة على الكلام .. ساعتــها أدركــت صعوبة موقفى ومهمتى فى ان اجتذب الكلمات من بين شفتيــه حتى خيل الى اننى اشدها شدا من فمه الرقيق , ولست أدرى لماذا خيل الى فى لحظة ان فمه قد انكمش من طول صمتـــه وعدم رغبته فى الكلام وانطوائه الحزين على هم دفيــن .

هم بالانصراف . تبعته في لهفة ؛ وبسرعة ناديت عليه بصوت ملح أن ينتظر ...

توقف لحظة بعد تردد ثقيل وفي تأفف بدا على ملامحه ..

استند الى ناصيتي .. شعرت بارتباك شديد وخجل هائل ؛ حيث من المعتاد والمعروف ان الرجال هم الذين يطاردون حواء؛ وما على حواء الا الدلال والتمنع؛ والذي اراه يحدث الآن هو العكس تماما ....

ياله من منطق معكوس وانقلاب في طبيعة الحياة البشرية؛ ولأول مرة اشعر هناك رجلا لايبالي بي ؛ ولا يهتم بجمالي ومظهري الذي طالما شد انتباه كل الرجال بلا استثناء كل ذلك جعلني اصر على اتباعه بل مطاردته ؛ الح عليه في البقاء معي بأية وسيلة وبأي حجة ولو واهية ... في لحظة خاطفة طلبت منه ان يشعل لي سيجارة .. استدار؛ وقد انهمك في البحث عن الكبريت بجيبه ؛ وبعد فترة وفي لامبالاة أيضا اشعل لي سيجارتي ؛ وقبل ان يهم بالهروب من حديثي طلبت منه أن يشاركني التدخين ؛ فقد هممت سريعا ان اقدم له علبة سجائري ؛ وفي بطء شديد وتردد ؛ وبعد الحاح مني عليه التقط سيجارة من علبتي وشكرني بصوت خافت لم تسعفني اذني في التقاط كلماته التي تمتم بها .. استوضحت الامر وسألته ماذا يقول ؟ وفي تعجب وتأفف أعاد كلمات الشكر بصوت أعلى

من الكلمات السابقة .. ابتسمت .. دعوته لتناول مشروب مثلج أو أى شيء من الحلوى ! وأيضا فى ملل منى وضجر رفض .. الححت عليه أن يشاركنى الشراب .. انطلق من أمامى كالسهم ! لم ينطق بكلمة .. ذهب عنى ليختفى بين الحاضرين .. تابعته بنظرات فضولية ! وقد غاب عن عينى .. فقدت الأمل فى العثور عليه والبحث معه .. شعرت ساعتها بخيبة أمل جديدة .. فى غيظ وصمت أخذت أشعل السيجارة تلو الأخرى فى جو وملل وقد عزمت على الانصراف بعد الانتهاء من التدخين وبينما أنا أجمع أشيائى المبعثرة فى حقيبة يدى نهضت هاردة متثاقلة ! وجدت أمامى على حافة الكرسى صحن مملوء بالحلوى وبجانبه كأس .. تعجبت ولم يطل تعجبى .. رفعت رأسى .. رأيته .. دهشت .. تلعثمت فى فرحة طفولية ساذجة كدت معها أصرخ .. لم أدر ساعتها بنفسى إلا وأنا أناديه باسمه بلا ألقاب ..

نادر .. نادر .. مش ممكن .. أنا فكرت إنك .. قطع مقاطع كلماتى وهو ينظر إلى الكاس التى بيده ـ أنا ؟ بالفعل كنت أنوى الانصراف لكن شعرت أننى فى حاجة إلى أن أشرب شيئا فلم أجد أهدأ من هذا المكان ! ولا أدرى لماذا تذكرت كلماتك وأحضرت لك مطلوبك حتى نتقاسم .. التقطت الكاس التى بيده ثم شكرته بكل حرارة وهنا بدأت التقط أول خيط من خيوط

الحديث التي طالما ترددت بها ابدا حديثى معه فسارعت بالسؤال عن سر نظراته الحزينة وصمته الرهيب .. صمت قليلا وقد بدا على قسمات وجهه كل المرارة والالم .. ضغط اسنانه فى غيظ كانه يمضغ كل مرارة العالم ثم يبلعها فى مضض وأسى .. رد بعد صمت قائلا : سيدتى تلك قصة طويلة لا اريد الخوض فيها لانها تؤلمنى .. تؤرقنى ..

ـ سيدى النادر : لماذا الصمت ؟ لماذا الاحزان ؟ الحياة ستمر بحلوها ومرها ، بطولها وبعرضها .. فلماذا لاتستمتع بحلوها وتجعل مرها وراء ظهرك ؟

قاطعنى وكانه يريد ان يخرسنى ، وفى لهجة آمرة .

ـ ارجوك يا آنسة .. كفى فلسفة .. كفى ابتذالا .. صمت بوقت معيناه .. فتحت فاهى كالبلها وتطلقت بكلماته اردد ها فى لا وعى

ـ فلسفة ! ابتذال !

فى شبه شبه صرخات مكتومة مكلومة ..

ـ نعم : انت مازلت صغيرة لم تدركى معنى الالم ولم تعرفى ما هى الاحزان .. لم تتذوقى مر المرض والعذاب والفراق ثم صمت ووضع رأسه بين يديه وقد لمحت فى عينيه الواسعتين الحزينتين عبرة ترقرقت من حدقتين كانتا متحجرتين على ما يبدو ...

أمسكت بيده الباردة المرتعشة وفي دهشة لم أنطق بكلمة

لم أدر لماذا لم يسعفني لساني بنطق اية كلمة ؟

استدار كأنما يريد أن يخفي عني أحزانه أو ربما دموعه ــ هم

أن ينطلق أو ينصرف فلم أدر الا وانا اتمسك به بيديه

الباردتين .. استدار عني ... الححت عليه أن يبقى .. تمسكت

بيديه أستدار نحوي وهو يشد يديه من يدي ولم أدر الا وعيناه

متعلقة بعيني وتلاقت نظراتنا لثوان شعرت أنها سنون .. ارتعد

جسدي .. اهتز كياني .. ياله من هرم شامخ وعملاق عظيم ..

صدر بارع .. استحلفته بكل غال أن يجلس ولو دقائق ..

دد .. ردد كلماتي ...

ــ تستحلفيني بكل غال . لم يبقى لدي غال فكل غال لدي انتهى

ماذا تعني بكلمة انتهى ؟

ــ انتهى تعني مات واندثر

ــ الموت حقيقة الحقيقة المؤكدة في الحياة هي الموت

ــ نعم الموت حقيقة والفراق ايضا حقيقة .. الخيانة

ايضا حقيقة

سيدتي : باختصار شديد انا انسان مشئوم محزون كتبت علي

الوحدة فيما مرني الالم وتمزقني الاحزان .. احببت ابي ومات

.. احببت امي فتزوجت فور موت ابي .. احببت زميلة لي

فتزوجت بغيري . احببت اخرى فهاجرت .. تزوجت اخرى فخانتني

.. شربت الزواج مايرقة فماذا بقى ؟ الآن بعد ذلك في الحياة ؟ ما الذي يجبرني أن أسير في الحياة مختنقا مبتهجا .. لقد دخلت الحياة عنوة عني وسأخرج منها صفر اليدين لاقريب ولاحبيب ولا ولد ولا بنت ولا زوجة ولا حتى عشيقة ..

قاطعته قبل ان يكمل كلماته . لماذا لم تقل لاصديق .. أليس لك أصدقاء ؟ أليست الصداقة كنزا تعويضا وربما يعوضك عن كل ماتحتاج اليه من .. قاطعني في لهجة ساخرة

- من ماذا ؟ من ماذا ياسيدتي الصغيرة ؟ ....

- إنك متشائم للغاية حتى الصداقة لاتعترف بها .. لقد فقدت ايمانك بكل شيء , وان فقدت الايمان بكل شيء , وان فقدت الايمان بكل شيء فعلى الاقل لاتفقد بالله فرحمة الله واسعة

- هم أن يصرخ وقد أدركت ساعتها أنه قريب الكفر بالله .. صرخت فيه آمرة اياه أن يرجع الى وعيه وتذكر الله ويستمسك بايمانه ولا يكفر برحمة الله .. قابل الصرخة بصرخة منه ثم أمسك بذراعي وقد أعتصره حتى كدت أصرخ من شدة الألم وتشتت انفاسي لايتسع الهم فلم يكن الهم بالقدر الذي يحتويه صدره من الهم .. صرخ بي

- أنت لم تتذوقي الوحدة .. الخيانة .. الفراق .. السأم والملل .. الوحدة بالنسبة شيء فظيع قاسي يفتح تنهدت ولم اشعر بنفسي ودموعي منذرفة من عيني بكل سخاء .

ـ أنا ؟ .. أنا ياسيدى لم أتذوق الوحدة ؟ من قال ذلك ؟ ومن قال انني انسة ؟ أنا ياسيدى سيدة . زوجة . شابة ربما جميلة ربما .. ولكن الحقيقة المؤكدة انني لا أعرف عن التفاهم في الحياة الزوجية شيئا ولم أشعر بطعم السعادة مطلقا .. انني احيا حياة مرغمة عليها .. فزوجي انسان خائن همجي يقضي كل ليله في احضان الساقطات .. وعزمت أمري على الانفصال عنه بعد طول صبر ومعاناة وبعد محاولات يائسة في اصلاحه وربطه ببيته وأولاده وباءت كل محاولاتي بالفشل وبعد قرار الانفصال الذي اتخذته بصعوبة بالغة وتردد هائل كم كان يخيفني تعبير <<مطلقة>> ولاسيما في مجتمعنا هذا .. كنت اتمزق ألف مرة ومرة بعد قرار الانفصال .. كنت أحبه .. حاولت اصلاحه .. صبرت على مضض وبعد قرار الانفصال وقد باع كل مايملك على القمار والنساء والشراب وقع فريسة للمرض وأصيب بشلل كامل .. أصبح حبيس الجدران وذلك الكرسي الحديدى المتحرك .. عدت اليه ليس حبا فيه بل عطفا عليه وذلك من واجبي كزوجة أصيلة وكانسانة خرجت الى العمل لاستطيع الانفاق ليس على نفسي فقط بل على نفسي وعلى علاجه أيضا . كل ذلك وأنا راضية قانعة صابرة

ختمت كلماتي وسط نشيج متهزج ودموع سافرة سخية

خيم السكون علينا ثم نطق نادر فى دهشة : أليس عجيبا
أن نلتقى منذ قليل غرباء ثم نصبح .. سكت بيننا قلت :

ـ ولم العجب ؟ ان النفوس أقرب ماتكون التقاء وتعارفا ان
سرها أن تتحرك بأسرع من الزمان والمكان عن الايام والشهور
والمسافات :

ـ أليس منذ لحظات كان شعورك غير ذلك .. كنت تتأفف منى :
تكره وجودى والكلام معى والآن أصبحت تجلس بجانبى وأكثر من
ذلك تتعاطف معى .. أرأيت أنك أكثر منى حرية وانطلاقا فـى .
الحياة على الأقل حياتك ملك لك تفعل ماتشاء بنفسك وبحياتك
اما أنا فلا <<مكره أخاك لابطل>>
سيدى ليس بيدى أن أضيع عمرى هباء

رد نادر على كلماتى فى استفسار   وماذا بعد ؟

ـ لا أدرى ماذا سيكون بعد .. هل كنت تعرف أننا سنلتقى ؟ ان
هذا لا أنا ولا أنت نعرفه ولكن لابد لنا أن نعرفه

ـ لماذا ؟ ... تريد أن تعرفه ؟ وماذا تريد أن تعرف ؟
أنا ذاهبة فى طريقى الذى أعرفه وتعودت عليه فرد فى لهفة
وبلا وعى : وأنا ماذا أصنع ؟

قلت له فى دهشة وشبه ذهول : اصنع ماكنت تنوى صنعه

ـ من غيرك !! لا لا

ـ ما أنا الا عابرة طريق

- ولكنك انرت لي الطريق

واحسست بمدى الاسى في نبرات صوته فبادرته في دهشة

- ولكن لقاؤنا لم يطل وحديثنا لم يتجاوز الساعة

رد في اسى ولهفة ورجفة هزت اوصاله : -

- سيدتي : من الحديث مالا يطول ولكنه يحفر في النفس خندقا عميقا ومن اللقاء مالا يتجاوز الدقائق ولكنه يتجاوز الاعمار بل الزمان والمكان .. هل تسمحي لي سيدتي برؤياك مرة اخرى ، وارجو الا تسيئي الفهم او الظن .. هل يمكن ان اعرف عنوان تليفونك .. اسمك بالكامل ..

- وماذا يفيد الاسم والرسم والعنوان ؟ لاشيء

- يفيد في حالتي هذه .. لقد تقاربنا دون ان تعرفي عني ودون ان اعرف عنك شيئا

- من الافضل الا اعرف والا تعرف . قلت لك انني عابرة طريق

- لماذا لايتفق الطريقان ؟

- لانهما مختلفان قبل ان اراك وتراني

واعترف لك قبل الفراق انني التي طاردتك اولا وتعمدت استراق حديثك فقد دفعني فضولي ان افك سر غموضك وطلاسم صمت نظراتك الحزينة فلاحقتك ربما لانني انا الاخرى شعرت بالوحدة مثلك تماما فقد تلاقت الارواح قبل الاجساد وانصهرت في بوتقة الوحدة .. فكل منا على طريق ولابد ان يكمل الطريق .

هممت بالانصراف ولكن هذه المرة هو الذي تعلق بي ..
بيدي يستحلفني ان ابقى ولو دقائق فرفضت
الح علىّ .استحلفني بكل غال ان أعده بلقاء آخر .. رفضت
فليس من حق مثيلاتي ان يعد احد بلقاء ..
وعدني بطهارة العلاقة ونبل الصداقة .. رفضت فليس هناك
صداقة بين رجل وامرأة ، خاصة في مثل ظروفي ..
ابتسمت وسط دموعي ليشد على يدي في اعزاز وألم وقلت
بصوت يخنقه الالم وتعتصره الدموع :
عم مساء ياصديقي فلا بد أن أعود فهناك مريض ينتظر ميعاد
الدواء .

÷÷*÷*÷*÷*÷*÷*
÷÷*÷*÷*÷*
÷÷*÷*

كـافيــار وفتّــات

بينما كنت جالسة في البهو الفاخر لاحدى الفنادق الكبيرة .. أتأمل كعادتي وجوه الجالسين المدعوين لتلك الحفل الرائع فقد كانت صديقتي آمال تحتفل بعيد ميلاد وحيدتها الطفلة الرقيقة <<صافيا>> .. كل من المدعوين يرتدي أفخر الثياب .. كل يتأبط ذراع زوجته .. ربما خطيبته ربما صديقته ربما .. الجميع يلهون .. الضحكات عالية ... الاحاديث بلا معنى .. النظرات جامدة .. كل يتلون بلون الرياء الزائفة .. فقد رأيت بعيني نظرات الحاضرين الحاقدة وكلماتهم الساخرة المتهكمة وتعليقاتهم اللاذعة على أصحاب تلك الدعوة كل يتهكم على جنون الابوين ... لاسرافهم وبذخهم بلا داع .. كل يلوي شفتيه يستنكر ذلك التصرف .. يستنكر عليهم ثرائهم .. يتساءل في دهشة عن مصدر هذا المال الوفير والبذخ الكثير .. وما هي دقائق لم تتجاوز الساعة حتى سمعت تصفيق حاد وضحكات عالية وبعيني رأيتهم يتبدلون من حال الى حال .. فقد انقلبت الحال في ثوان فكل يتسابق حول الطفلة الرائعة الجمال الفاخرة الثياب أدركت وصول موكبها .. رأيتها بصعوبة وهي تتخلص من أيدي المدعوين وكل يحاول التقاطها ويتسابق لتهنئتها كل ذلك في رياء مصطنع وقبلات باردة .. ومجاملات زائفة تنال الطفلة بينهم .تتبختر في نعال كالطاووس

وسط ضفاف الطيور .. كالاميرة بين الخدم و الحشم تتنقل في

تتقزز تتعهد ترتيب ثيابها الفاخرة وشعرها المصفف باتقان

تجلس .. كل يتسابق حولها ليفوز بالتقاط الصور معها ..

ويقدم الهدايا الفاخرة لها .. قمت متثاقلة فقد راعني

منظر تلون مشاعر الحاضرين وطرقهم الملتوية في الاستحواذ

على انتباه اصحاب الحفل .. قدمت لها هديتي المتواضعة

قبلتها .. وانصرفت من امامها سريعا عدت لمكاني فوجدته

قد احتله احد المدعوين ثقيلي الظل .. وباستخفاف تهريجي

مقزز اراد مداعبتي .. لم اهتم انصرفت لابحث لي عن مكان

اخر وفي مكان هادئ بعيدا عن ضجيج القاعة وصخبها .. لم

اجد افضل من الحديقة الملحقة بالفندق .. تجولت قليلا بها

واخيرا بصعوبة وجدت مكانا بعيدا في آخر الحديقة جلست

اتنفس الصعداء فلقد كدت اختنق من جو القاعة الخانق

المفعم بنظرات الحقد وكلمات الرياء والمشاعر الملتوية

الملون النافق .. وبينما وانا شاردة وقد مللت الانتظار

اعد الدقائق بل الثواني حتى يحين الوقت الملائم للانصراف

سمعت اصواتا خافتة خلف السور المجاور لي .. انتبهت على

مصدر الصوت الخافت الهامس .. رفعني فضولي ان اتابع

مصدر الصوت حاولت استراق اطراف الحديث ومتابعته بشغف

تبينت ندا انه يصدر من اطفال صغار .. فقد كانوا ملتفين

وما هي الا ثوان حتى رأيتهم فقد اعتلى الاول ظهر الآخر ليقفز فوق السور وما هي الا ثوان اخرى حتى رأيت الآخر وقد رأيت على وجوههم دهشة وفزع .. من هول ما رأوا .. حديث سريع دار ما بينهم نظرات خوف واعجاب :

شايف ياوله ايه ده .. دول ناس زينا

يرد الثاني في دهشة بالغة :

مستحيل ... ياه شوف لابسين ايه !!!!

وبعد قليل سمعت صوت استغاثة والحاح لم ار صاحبة الصوت ولكنني ادركت انه صوت طفلة صغيرة تستغيث تستحلفهم بأن يحملونها فوق السور لترى ما لا تراه مثلهم .. لم يلتفت لها احد منهم بل ظلوا مشدوهين يأخذهم هول ما يرون من فاخر الثياب وبذخ الطعام ظل صوت الصغيرة في تستجديهم في استغاثة والحاح حتى اضطرت الى الصراخ تستحثهم على حملها مثلهم .. تنبه احدهم لصوتها فقفز ثوان فوق السور خوفا أن يسمعها احد فيطردهم ... سمعتها وهي تبكي تصرخ صرخات مكتومة مكتومة تستحلفه وهو يركلها ويعنفها على صرخاتها حتى لم يجد بدا لاسكاتها وكتم صرخاتها التي ظلت تتعالى ظلما في نفسها فوق السور ... اخيرا رأيتها بعد أن اعتلت ظهر اخيها رأيت وجهها الملائكي المستدير .. طفلة في عمرها السابع مهلهلة الثياب متسخة الوجه والثياب واليدين وقد ادركت

انها لم تغسل منذ الولادة شعرها الاصفر الاشعث ينهدل على كتفيها الرفيعتين تمسح عينيها من أثر الدموع حتى تتضح الصورة امام عينيها الملحتين فى اختراق ذلك المنظر الرائع الذى أمامها .. برقت عيناها فرست فاها لم تنطق بكلمة .. ولكنها نظرات الدهشة والحسرة الملائكية الساذجة نظرات تحمل معها كل معنى للتعجب والتمنى والاعجاب سمعت مابنظراتها من اعجاب وحسرة وتمنى بها صوت أعلى .. أعلى من اى كلام .. تمسح انفها الدقيقة بكف يدها وهى بارقة العينين كانها لاتريد ان يفوتها اى فرصة لتضييع هذا المشهد الجميل بعينيها .. تنهد ... تعلق على شفتيها الدقيقتين .. تنادى اخيها لايرد عليها .. تربت على كتفه تشده من ذقنه .. ليهزها .. تعود لتستلم الدموع الصامتة لقد ادركت ساعتها ان دموعها ماهى الا ترجمة صادقة بريئة للاعلان عن امنياتها وحرمانها فى آن واحد ، لم تقو كثيرا على الصمت اشارت باصبعها الصغير نحو الطعام المكدس على الموائد الفاخرة .. صاحت فى دهشة وتمنى

رد محمود فى دهشة لاتقل عنها دهشة

لا ده بيغسلوا بين باختى .

شدته من جلبابه ابى الحاج حتى تزحزح عن كتفه الضعيف العارى تطلب منه فى تمنى امنية حياتها ان تتذوق منه مرة واحدة وتموت .....

محمود عايزه حته واليتيم ... حته ليه وحته لامي ....
نهرها بشده آمرا اياها ان تسكت اما أن تذهب .. ثم
ضاف في لفه تحمل كل مرارة العالم ....

يابنتي الحاجات دي مش لينا ولا لا مــي الحاجات دي
بس ان احنا نشوفها وكمان كتير علينا نشوفها ... اسكتتني
حسن لك واليتيم .. انتظرت ساعتها ان اسمع ردها الطبيعي
لسائل .. وبالعجب فلم تنطق بحرف بل تنهدت في أسى وألم
ولم تجد الا الدموع وسيلة للتمني .. فقد عجز لسانها عن
النطق وترجمت العيون كل الالم والامل معا .. كتمت انفاسي
حتى لا اقطع عليهم سعادة النظر .. خفت ان يشعروا بوجودي
يخجلوا مني ويفروا هاربين .. دقت الطبول وعلا صوت
الموسيقى معلنا عن افتتاح البوفيه الفاخر ... علت الاصوات
والضحكات كل يقتسم نصيبه في اشهى المأكولات والحلوى
الفاخرة سمعت صوت صديقتي تناديني من البهو تبحث عني
لاتناول العشاء معهم كانت حسرتي على الاطفال ابلغ من أي
شعور بالجوع والحرمان .. كدت اصرخ في وجوه الجميع
استحثهم ان يخرجوا ليروا ما لا رأوه وما يمزقني انا وحدي
لكن هيهات ان يشعر المتخم بالمحروم .. تعجبت بالفروق
والهوه البشعه مابين الطفلتين وبعد الصاع وصياح تناديني

في حرماني من متابعة ذلك المشهد النادر .. ترددت في الدخول ولكنني سرعان ما اسرعت في الدخول بعد ان طرأت علىّ فكرة في ان احضر لهم شيئا من الحلوى التسمه معهم واتابعه في عيونهم فرحتهم وسعادتهم بتذوق شيئا ربما لن يتذوقوه في حياتهم .. ودخلت بسرعة نحو المائدة الفاخرة التقطت أول ماطلبها إعدت لهم طبقا شهى وسريعا سريعا لملمت المتفرغ من الماكولات والحلوى ورجعت تواً احمل لهم نصيبهم وفي سرعة انطلقت كالسهم المارق وأنا أستمع لاصوات المنافقين وهم يتعجبون ويستكثرون علىّ مالملمت منذ قليل كانت التعليقات لاذعة ساخرة ضاحكة .. لم أعبأ بهم ولم اهتم لهم .. فقد كان همى الاعظم أن الحق بهم عدت .. وسريعا سريعا اتجهت نحوهم فلم اجدهم فقد كانت يد الحارس اللعينه اسرع من يدى فقد سمعت أصواتهم تصرخ لتضيع في الهواء .. ورايت بعيني اكثر من نصف الماكولات التى كانت على الموائد يلملمها الحارس ويلقوا بها في

الزبالـــة

****

****

****

حمار ثم أحمد

تعودت أن أخرج الى الشرفة فجر كل يوم أكون قد وقعت فيه فريسة للقلق والأرق ، الذي كم كنت أعانى منه ليال طوال كنت لا آوى لفراشي الا بعد أن أراه اسمع صوته ، أتفحص تلك العربة وذلك الحمار العجوز الهزيل وذلك الكلب الصغير الذي كم كان حريصا على أن يكون خلف العربة : وبالسدات يجرى بين عرباتها العرجاء ، يتقدمهم عم احمد : كم كنت حريصة على ترقب ذلك المشهد المريح وسماع صوت عم أحمد ينادي بكلمات مخفوظة << دميسة لوز ، اشطة ، بابلسبلة >> ثم صوت خطوات الطفل الذى كان يتقدم العربة ليلتقط الاوعيــة الفارغة من السلال المدلاة من الشرفات ... كم كنت حريصة على أن أرقبه ــ أشاهده اسمعه : اتفحصه ، والعجيب انه فور كل ذلك كنت أشعر بارتياح نادر ، واذهب الى فراشي هادئة ، والفضل فى ذلك يعود الى عم احمد :

نعم لقد كانت له نظرات هادئة قانعة راضية : فكم كان يثير دهشتي منظر وهو جالس على الرصيف يحصى قروشه القليلة ثم يرفعها الى فمه يقبلها فى فرحة وقناعة منقطعة النظير : ثم يعود ويربت على ظهر حماره الهزيل العجوز ، ثم ينادي على طفله الذى كم تناسى طفولته وطامعها الملحة فى طلب اللعب واللهو مع قرنائه بمسئولياته التى رضى بها لمرافقة ابيه العجوز عونا له على مسئولياته يتشابكا الايدي فى محبة كاملة

الكلب الصابر ، الحمار العجوز الهزيل ، الطفل النشيط ، عم

احمد ليعودوا معا تربط بينهم تلك النظرة الحانية و القناعة

الراضية :

محبة عجيبة وقناعة غريبة تفوق كل احساس بالارتياح و الشعور

بالرضا و القناعة :

كنت أمنى لكل مريض يحتاج لعلاج نفسي أو يشكو من ازمات

مادية أو مطامع دينوية أن يعرف العلاج من عند عم احمد

يراه يتبعه ، يسمعه فقط ثم يشاهد ذلك المشهد وهو جالس

القرفصاء يعد قروشه القليلة في سعادة كبيرة : وقبلته

الشهيرة لها ثم صحبته لاربعته وهما في طريق العودة

تصاحبهما تلك النظرة بالرضا و القناعة بالقليل ، وصوت

اقدامهم كأنها تتراقص على أشهر المقطوعات العالمية

للموسيقى :

فقد كانت بالنسبة لي أعظم دواء لمعاناتي وقلقي النفسي

الذي أعجز أعظم و أشهر أطباء النفس :

بالها من رباعية رائعة تحمل بين طيات رباعياتها أجمل

و أروع معاني الترابط: الحب ، التفاهم ، القناعة ، الرضا

تكامل غريب ، تربطني بهم مغناطيسية قوية ، تجذبني اليهم

تدلدغ كل معنى للتمرد و الارق و القلق ، الذي كنت أعاني منه

طوال حياتي

كم يعجب اهل بيتى لحرصى الشديد على رؤيتهم وسماعهم ، لم أبالى ببرد الشتاء أو حر الصيف فى انتظار قدومهم و الحرص على سماعهم الى ان جاء اليوم الذى كنت فيه فى الانتظار لاوقت قدومهم ومرت دقائق بطيئة ذقيلة ، وقد تاخروا ، اكثر من دقائق الساعة ، لم يحضر عم أحمد فى هذا اليوم ومر اليوم الثانى و الثالث و الرابع — لم يحضر أحد لم أبال وقلت فى نفسى ربما المتاعب وعكة صحية بينى وبين نفسى .. أحترت .. فكرت فى الطريقة التى تصلنى بهم او السؤال عنهم ، فلم أهتد الى خيط يصلنى بهم .. انتظرت ان يسالنى احد عليهم او اسال احد عليهم — كيف السبيل اذن ؟حاولت قص اخبارهم عن طريق الجيران .. لم اجد خبرا عند احد يهدينى اليهم : اذن لم يهتم أحد بعم أحمد سواى: يبالها من غفلة طمست قلوب الجميع .. الكل لاه باحواله الخاصة فلم يكلف أحد منهم نفسه سؤالا عن عم أحمد وثلاثيه المتواضعة المشهورة .. وبعد طول ترتيب هدانى تفكيرى الى بداية الخيط، لقد تذكرت يوما كنت مسافرة الى القاهرة فى عجالة وكنت إستقل التاكسى فى صباح باكر .. فقد لمحت عم أحمد وثلاثيه عائدين وقد انحدروا فى شارع جانبى هناك بعيدا نحو الاماكن المختصة ببيع الخضروات — غلبت الظن أنه ربما يكون مقيما قريبا من سوق الخضار وسريعا سريعا وبلا تردد دسست نفسى فى ملابسى

ولاول مرة لم اختزها بعشابية كعادتي وقويت الى الشارع لاستقل اول تاكسي يمربي ووجدت نفسي بلا وعي احكي للسائق حكاية عمي احمد استجديه ان يرافقني بعشاعين مسكنه ،استند او السائق نحوي، وادركت من خلل نظراته التي حملت اكثر من معنى للسفقه ، ولم تكن الشفقه على عم احمد وثلاثيه ولكن للاسف ادركت انها شفقة على انا .

اعتقدت ان هذا السائق اتهمني ان لم يكن بالجنون فعلى الاقل بالبلاهية وفي تالك وضجر استمع لوصف الشارع وعنوانه وما عليه الا الطاعة حتى يتخلص مني ومن الهاجس الجنوني عليه واستجداني المرير اليه — وبالفعل لم ابحث كثيرا عليه فقد لمحته من بعيد في نهاية الشارع الذي يقوبه سوق الخضار رايته ، صرخت — عم احمد — عم احمد — وقف وقف يا اسطى .. اشكرك وتنفس السائق الصعداء وكان من فرحته ان ينسى اجره حتى يتخلص مني، وانطلق كالسهم يتمتم بكلمات لم اسمعها ولكنني حتما فهمتها لم اعبا به .. انطلقت مهرولة نحو عم احمد سعيدة برؤيته متلهفة عليه قربت منه بخطوات سريعة حذرة ابتلع انفاسي اكتم لهفتي فادركته من تشالفه وهو جالس القرفصاء على عتبة بيته والكلب بجواره والذباب يملا راسه وقد اطرق عم احمد براسه بين ركبتيه في سكون وصمت يحوم

حوله الالم وتملأنفسه الحسرة ،شارد .. كسير العينين .. هزيل الجسد وجلبابة المتسخة شبه المهلهلة لاتختلف كثيرا عنه

اقتربت منه في حذر وقد راعني وافزعني ذلك المشهد الحزين الصامت .. ربت على كتفيه .. أمسكت بيده الباردة الشاحبة وبصوت خافت تكاد تخنقه الدموع

ـ عم احمد .. انت فين

ـ انتفض عم احمد المسكين .. استدار بعيدا عني

ـ ايه فيه . ايه تاني .. عايزين من ايه ؟

ـ مالك ياعم احمد انا مشغولة عليك .. ازيك انت بخير

سالني من اكون — لم يتذكرني المسكين

ايه ياعم احمد انت مش مش عارفني .. انت مش فاكرني

يارا جل ياطيب رد على كلماتي بنظرة حزين بعد ان اطال النظر في

ـ لاتؤاخذيني ياست هانم مش واخد بالي

ـ لا لا يمكن انت مش عارفني بس انا عارفاك كويس دانت صاحبي من زمان وصاحب فضل علينا كلنا

لم يرد عم احمد بصوته .. بلسانه بل رد بسخاء بعينين بدموعه بجسده الهزيل الذى اخذ يهتز ويرتعد وصوته المحبوس تدغدغه نبرات الالم

ـ مالك ياعم احمد خير؟ فينك ؟ وفين ابنك ؟

ـ ابني بخير وانا بخير ياست هانم

ـ الحمد لله .. امال فين الحمار ؟

ـ الحمار مات والعربية راحت ستين حته : منه لله

وراح في غيبوبة وسط الدموع .. وراعني بنظرة وافزعتني حالته اليائسة اليائسة .. جلست بجواره على قطعة خشبية منها دكة فوق حجر كبير .. ربت على كتفه استجديه أن يقص على حكايته ويروى لي ماساته .. مسح عينيه بكفيه تاره ويزيل جلبابه تارة اخرى قال : ذات يوم لعين وهوعائد فرح بقروشه الذهبية وصحبته السعيدة بينبختورن ، وفجأة أتت سيارة فارها الطول مسرعة في جنون وفي ثوان صدمت الحمار والعربية .. مات الحمار توا ودمرت العربية تماما وياليت انتهى الامر على ذلك بل ذاق عم أحمد الامرين في الحجز بالقسم وقد اشبعوه ركلا وضربا أدمى آدميته وزج بقروشه وخرج بعد أن أقر أنه المذنب وقد تعهد باصلاح التلفيات التي بالسيارة الفخرة الفخمة .. عاد عم أحمد مقر المدين ـ ختم عم أحمد حكايته المؤلمة أو ماساته وسط دموعي ودموعه ـ ثم عاد عاد <<عم أحمد>> ينادي في الحي باعلى صوته ..<<دميسة لوز أشملة البلدية >> وحلوات الطفل الصغير والكسب المتجوز والحمار الجديد والعربة الجديدة وابتسامة امتنان وشكر .. يلوح لي بيديه من بعيد يردد كلمات : الدنيا بخير : الدنيا بخير صباحك أشملة ياست هانم

دعــــوة للفقــــراء

جلس كمال عبد الهادي رجل الاعمال الثرى المشهور .. في انتظار بعض المدعوين لعقد صفقه استيراد جديدة .. يتامل الكاس التي بيده .. يرتشف كاسه وهو شارد مهموم ربما لانه مل ذلك الجو المفعم باريا ء والمجاملات المفتعله والنفاق والتلوين كان لايحلوله تلك الصفقات وهذه الدعوات العمليه التي طالما تاقف منها ولايقدم عليها الا بكل ضيق واضطراب .. لايدرى لماذا هذه ماضيه الطويل الى الوراء .. تذكر ايام ماضيه وحرمان كم عاناه وقاس منه .. ابتسم عندما تذكر اليوم الذي كان يتابع فيه خطوات حبيبته الصبيه الشابة وقابله اخوها واشبعه ضربا وركلا وعاد لامه لايفكر في الام الضرب والاهانه بالقدر الذى يفكر في قميصه الممزق الذى كان لايملك سواه .. تذكر كيف تسولت له امه قميصا بدلا منه من احدى الجارات فقد كان العمر الافتراضي لقميصه الممزق قد انتهى من سنوات طويله .. تذكر كم كان يحلو له الحب والامل وسط الحرمان والعمل

تذكر ان ايام كان طالبا بالجامعة وهو يخجل من حذائه الممزق ذهابا وعودة احدى الفنادق الفخمه والذى كم تمنى ان يدخلها حتى لوعمل بها كعامل مصعد اوعامل نظافة .. قصته مع الحياه طويله استرجاع ماضيه وعاش مع حرمانه ومآسيه اكثر من دقائق الساعة وفي الوقت الذى يهمس في اذنيه صديقه

باعلان وصول الوفد المنتظر

قام متثاقلا سريعا أنهى المفقه . همس فى أذن صديقه المقرب اليه قائلا .. كمال بك الصفقة دى نادره وحتما لابد ان نحتفل بها حفل بهيج يليق بها

رد عليه كمال عبد الهادى <<بلهفه>> كأنه كان ينتظر هذا القول من صديقه

ـ فعلا فكرة رائعة يا اسماعيل لازم نحتفل بها ولكن ليس كما تقصد ولا ككل احتفال كما تصورت

ـ رد اسماعيل فى دهشة ماذا تقصد كما تصورت ؟ أتنـوى ان تقبلها حفلة تنكرية هذه المره وتعالت ضحكاتهما ..

ـ لا لا يااسماعيل المره هذه سادعو أهل قريتى فهم فقراء والبعض الفقير من أهلى فطالما طال الفراق بيننا وطالما من أعطى أتصل ومن منع المال عدل فسوف أتصل و أعود لاهل قريتى فعندى حنين لاتصل بما عدل و أعود لاكون ودودا ..

و أضاف فى تمنى

ـ اسماعيل أتظن أنهم سيتقبلون بجديه الدعوة ويحضرون ؟

رد صديق فى دهشة و استنكار

ـ معقول !! طبعا سوف يحضرون هو فى حد يرفض دعوة فاخرة مثل دعوتك هو حد يطول .. طبعا سوف يحضرون ربما لاينامون الليل حتى يحين الميعاد من الفرحة و الاستعداد

وسريعا طبعت كروت الدعوة وتحديد الميعاد وتم ارسال البطاقات الفنادق درجة اولى ... وفى الميعاد كان كل شيء على اهبة الاستعداد وكان كمال عبد الهادى حريصا على الحضور قبل الميعاد لتنفيذ كل شيء ويطمئن بنفسه على تمام وكمال الاحتفال .

جلس على اول مقعد بجوار الباب الخارجى حتى يرى اهل بلده الفقراء ليسترق من عيونهم نظرات الفرابلقاءه والمتوددة له مرت دقائق الساعة بطيئة ثقيلة والضحكات تضيع على شفتيه كلما حاول صديقه اسماعيل أن يلهيه عن قسوة الانتظار فيطمئن بين الحين والحين

انهم حتما اتون مجنون من يرفض دعوة كهذه مجانا للجميع مرت ساعة .. ساعتان .. ثلاث لم يحضر احد

ساد جو من التوتر والانشغال .. مرت كالدهر عليه لم يحضر احد ضرب كفيه فى دهشة .. فقد رفضت دعوته ولم يكن هناك بدا من انقاذ الموقف والخروج من الحرج وماهو الا اتصال تليفونى واحد حتى كانت القاعة تكتظ بالمدعوين الاثرياء ... يأكلون بلا شهية

يضحكون بلا سبب .. يتكلمون بلا معنى ولم يسأل احدهم عن معرفة السبب

مهلا يا من تحكمون

تقف سيدة في حوالي الثلاثين من عمرها تمسك بقضبان حديدية تقبض بيديها فوقها بقوة وصلابة تعلو انفها الحاد لمحة كبرياء وشمم .. وفي عينيها نظرات حادة والـم .. تكسو ملامح وجهها الحزين مرارة والم .. تنظر الى لاشيء .. تضغط أسنانها البعض حتى تتهشم او تكاد كانها تمضغ مرارة لاتحتمل .. تبتلع ماسى العالم في دقائق تنتظر .. وعلى مضض تمتهن .. تنظر في لا مبالاه حواليها .. شاردة بعض الشيء .. لتعود لنفسها من خلال ابتسامة ساخرة باردة .. كانها تهزا بالمكان او الزمان .. او البشر .. نظرات لاتحمل الا كل معنى للتقزز والالم .. يدخل القاعة رجل ضخم البنية .. ذو شارب عريض ووجه متصلب حازم .. وبصوت عريض يصرخ ..

ـ محكمـة ..

يدخل القاعة رجال القضاء في هدوء ووقار ليتخذ كل منهم مكانه .. ويطلب السيد الرئيس المناداه على المتهم ليعود ذلك الصوت العريض بالمناداه ..

فريدة عبد العال حسين ..

لم تبال صاحبة الاسم بسماع اسمها وكل ما كان يبدو عليها فقط أن حركت حبات عيناها نحو المنصة لتصب بنظراتها الحادة الساخرة على الجالسين كانها تلعنهم بنظراتها الجوفاء

ولعنا شها الخرساء .. كان صوتها أعلى من أى صراخ .. كانت نظراتها احد من حد السيف .. وقف المحامى ليقدم دفاعه .. وفى محاولة مستميتة لتبرئتها .. وحوار دامى بين النيابة والمحامى .. تستمع بكل التقزز والاشمئزاز الساخر تارة لتبرئتها وتارات لادانتها .. ساد الهدوء لحظة ساخنة لتهب<<فريدة >> وتقطع لحظة الصمت بردهـا البارد واعترافها الصريح لجريمتها .. لتضرب بحقها فى البراءة عرض الحائط .. غير مبالية بالدفاع .. غير عابئة بالبراءة .. لتقول ..

أنا بالامس كنت حرة طليقة .. واليوم مجرمة حبيسة قضبانكم دخلت بالامس ساحة قضائكم حرة فى نظركم لاتسول الحرية منكم من قيد أدمى معضمى .. الله يكرمنا والنبى عليه الصلاة والسلام يوصى بنا .. وبحرياتنا واحترامْ شعور الانس وكفالة حقها .. وأنتم تضربون عرض الحائط كل القيم لتستندون على اقوال شهود فى أدق اسرار الحياة الزوجية .. وانتم تعلمون انه يمكن الحصول عليهم بارخص الوسائل واحقرها .. ما أبشع الظلم وما ارخص القيم .. تهربون وتلتسوون .. تطيلون .. وتفترون .. والحقيقة ما اقربها لكم وابعلنها معكم .. ومجسده فى قول زوجة تعترف لكم بكل الصراحة والوضوح لتستنجد بكم وتتسول منكم حريتها من رجل أدمى

معصمها قيده وذبحت عنقها كراهيته والنفور به ومنه . بعد ان غز اللقاء الذهنى والتقارب العاطفى حتىاحترقت القلوب الندية والمشاعر الحية ....

منطق غريب .. وقانون شاذ عجيب نخلقه من عقولنا المحدودة ونسطره بايدينا المهزوزة ثم بعد ذلك نقدسه بارواحنا ...

الى من نجيب النداء ؟ الى قانون السماء أم قانون البشر ..

ان كنت سارق اقطعوا يدى ..

ولست بسارق لشىء مادى أو عينى ولكننى بكل الصدق والحق أقول استرقت من الزمن سعادتى واغتصبت من العمرفرحتى لاملا بها قلبى المحترق وجسدى البالى .. فانتم اليوم تولون انفسكم الحكم وانتم فى الحقيقة الخصم والحكم .. أبيت بالامس لكم مستجيرة ضعيفة كسيرة غريبة استنجد بكم لتحكموا لى ولو بقروش اسد بها رمقى واستر بها جسدى مع نسيان حقى الطبيعى فى الحياة .. وفى الحقيقة لم انساه ولن .. ولكننى تناسيته وهكذا نسيتموه انتم تماما ..

رددتمونى .. رفضتمونى .. نسيتمونى .. بل سددتم انوفكم كمن يشتم رائحة عفن يتقزز لها انفه فيستاء منها ليطردها ويلفظها .. فمن غيركم أسائله العدالة .. ومن غيركم اتسول منه الرحمة والشفقة .. رددتمونى خائبة حائرة ليس لى معين أو سند فى الحياة ..

أردت أن أسترد حريتي لابد أ بحريتي لتصحيح مسار حياتي التي املكها انا وليس هو .. استمتع بها أنا وتحكمتم انتم بها ليس ذنبي انني كنت أمرأة .. ضلت الطريق .. ربما أساءت الاختيار لحداثة عمرها .. ربما .. ولكنها حتما انسانة .. حتما بشر .. لها احاسيس وانسانية لاتمتهن .. كرمها الله وحباها وأوصى عليها سيد الرسل .. فأين الوصية ياعبيد الله انا اليوم ألف حبيسة الطغيان ارتكب جريمة في نظركم لا تغتفر .. فأين كنتم انتم بالامس وانا اتسول منكم حريتي.. حقي .. عمري .. بحق القدر .. أأعترف أنا الآن بجرمي فمن منكم يقف بجرمه ويعترف .. ملت وجلت .. ذهبت وابيت .. قابلت ورفضت .. جعت وشبعت .. فمن منكم يعترف ..

حقا كنت زوجة فاشلة لرجل غبي عنيد جاهل جبار ظالم .. جائع هو لحقه .. لحقي أنا هاضم .. استغثت بكم فلم أجد من بينكم نصر ولا نصف .. انتظرت وطال الانتظار .. ليس يوما ولا شهرا بل دهرا وألف ألف دهر ولا تدرون أن ساعة الانتظار عند المظلوم الجائع دهر فما بالكم فان الساعة ليست ساعة بل سنون .. وسنون .. وأعمار تضيع وتطول .. وشباب يندثر .. ويطون .. وقلوب فارغة تنتظر .. تصرخ .. تتظلم .. تتسول .. لامجيب.. لاسميع .. لامعين .. فمن أين تسترق الزمن .. وضعتم القانون بعقول محدودة من البشر ولغيتم قانون القدر ..

ونحن لسنا بملائكة فما نحن الا بشر ..

نحن واضعي القانون .. وما القانون واضعنا ...

نحن مؤلفي التشريعات وليست التشريعات تؤلفنا ..

نحن خالقي العيوب والداعين لها ومعها

دين الله يامرنا وقانون الناس يحكمنا ... والله يخلقنا

ويكرمنا ونحن نخلق القانون ليضيعنا ويمتهننا ..

الى من نستمع ونطيع .. الى دين الله ام الى قانون البشر

على اى شيء تحاكمون وعلى من تحكمون .. وعلى اى شيء

تشيرون .. وانتم فى الحقيقة المتسببون والداعون ..

تحاكمونني اليوم وانتم فى الحقيقة للمحاكمة تستحقون ..

جريمة القتل عقابها الشنق وجريمة السرقة عقابها السجن

وجريمة الزنا عقابها الرجم او الجلد .. فمن يحاكمكم انتم

ياواضعي القانون الظالم ومنفذي الظلم على البؤساء

والضعفاء .. فانتم فى الحقيقة القتلة .. قتلة لعمري ..

السارقون لزمني السالبون لحريتي .. ومغتصبون شبابي

وبشريتي .. اين كنتم بالامس وانا حرة استكمين لعدلكم

واستجير من الظلم بقانونكم .. اخطات .. اخطات .. لاتعتبيه

ولا تلم .. ان شئت فاصفح .. واحترم الحس ..

انسانة انا .. مظلومة انا .. امراة انا فكيف احيا على

الانقاض والحرمان كالصنم ..

فأنتم البادئين بالظلم ونحن التابعون فجنيت جرمي تباعا .
والنتيجة لظلمكم .. ومن بني على باطل فهو باطل ..
فأي عدل ينتظر من خلال قانون قائم ألفته عقول محدودة ..
وأين الرحمة في قلوب جبارة ألغت قانون السماء ليحكمها
القانون البشري وضعتم الضلال في كلمة القانون ثم احترمتموه
وضعتم التكذيب وصدقتموه ..
وضعتم الظلم ثم حققتموه ..
من الحق أن تنطقوا بعد ادانتي انا وادانتكم انتم ..
لكن من قانونكم الا تحيدوا عن ادانتي .. وأنتم بها
أحرى ... لكم ماشئتم ولا ابالي بارائكم .. لست انتظر
حكمكم ولا تعنيني بشيء تبرئتكم فقانون الغابة عندكم
البقاء للسيادة .. عند الله ثوابي أو عقابي وليس عند
العبد ... والله يغفر للسارق الجائع .. فمن منكم منزه
عن الخطأ حتى لو توفرت له سبل المعيشة الكريمة من منكم
في براءة الاجنة في الارحام من منكم في طهارة الملائكة في
السماء .. فويل لأمة حاكمها اعمى وحكيمها مجنون ..

ـ حكمـــــت المحكمـــــة ـ

* *

* * * * * * * * * * * * * * * * * * * *

وافتدتني أمي

فى حجرة شبه مظلمة .. وجهاز تسجيل بجواره . والطبيب الشاب جلس اليه وقد استلقى «وحيد» فى شبه غيبوبة اثر حقنة ليهدأ بعد ثورة جامحة ليسترسل حديثه المريع الذى كان يحمل كل المرارة والتنا ب .. بدا واضحا على ملامح وجهه ودموعه الغزيرة لينسج اول خيوط ماساته التى خرج منها بقايا انسان وقبل ان يبدأ قصته .. بل ماساته التقط سيجارة من علبته .. اشعلها ..

اخذ يتامل ذلك الدخان الابيض .. يتفحصه كانه يحاول ان يترجم شىء مايداخله . يتابعه ويهم فى محاولة سريعة ان يمسك به .. يجذبه .. يحتويه بداخل يده ليفتحها بعد ذلك فلايجد شيئا .. يرتعد . يتنهد فى مرارة ويأس . يرتفع نشيجه متقطعا ذليلا .. هادرا .. تبرق عيناه .. يضغط اسنانه فى غيظ.. يصرخ «اماه .. اماه .. سامحينى .. سامحينى »

يسرع الطبيب فى محاولة خاطفة لتهدئته .. يعود بعد برهة ليسأله ; - انا لست طبيبا بل صديقا .. اخا كبيرا .. افتح لى صدرك .. قل ما عندك .. ثق اننى خير من يحفظ سرك .. ساخذ بيدك

يهم «وحيد» ليحتضن الطبيب باكيا .. صارخا ..

- لست مجرما .. لست مذنبا فابى هو السبب .. هو المجرم الحقيقى

عاد «وحيد» يلوذ بالصمت المرير فترة متقوقعا ليحتضن ركبتيه بذراعيه ليدفن راسه بينهما كانة يحاول الهروب من او المواجهة لماساته ...

يحدثه الطبيب في هدوء .. يربت على كتفيه مساعدا اياه على الكلام حتى يستريح واعدا اياه بالحل متكفلا بضمان راحته المفقودة .. نظر اليه <<وحيد>> نظرات تحمل كل المرارة والالم بانه يستجديه ان يتركه حتى ينسى تلك المأساة التي اوصلته لهذه الحالة المهلهلة التي يعيشها .. صرخ ..

— تعدني بالحل لراحتي .. تحثني على الكلام .. فهل تستطيع ان تعود لي بها من قبرها ؟ .. تهب الحياة للانسان الوحيد الذي أحبها وضحى بحياته لاجلها .. لتبرئني بعد ذلك من نفسي .. وأمام نفسي .. من ظلمي الذي راح بسببه أقرب الناس الى قلبي .. وأحب الناس اليها ..

ساق كلماته هذه في سرعة مشغولة كأنه يحاول الا يفهمه احد سواه والذي أدرك الطبيب بعدها ان هذا الشاب يحيا في مأساة رهيبة تسيطر عليه .. يضيع بداخلها .. تائها معها .. متقوقعا محتضنا أحزانه وآلامه بسببها حتى أصبح بقايا انسان على وشك ان يفقد بقايا عقله بل حياته .. صاح فيه الطبيب في الحاح ..

<<وحيد>> اعلم ان بداخلك سر رهيب ومأساة هائلة .. ان لم تحاول أن تساعدني وتتكلم سوف تفقد عقلك كاملا وستضيع حياتك ..

تكلم .. تكلم يا اخي .. ثق بي فانا معك ولن أتخلى عنك .. ماذا عندك ؟ ماذا بداخلك ؟ تكلم ..

هنا تنبه <<وحيد>> من شروده وقد بدا عليه الذعر .. يرتعد لى ارتباك وريبة .. ينظر حوله كأنه يتفحص المكان ليتأكد له خلوه من أي شخص غيره و الطبيب .. يعود لتقوقع مكانه مرة أخرى يشعل سيجاره من أخرى ليعود لنفس حركاته الصامتة السابقة يهدأ قليلا ثم يكمل حديثنا بداه بغموض منذ قليل

- احببتها من كل قلبى .. تمنيت ان نعيش جميعا فى مكان واحد لمن حقى الطبيعى أن أتواجد معها ومعه لنحيا تلك الحياة الأسرية الطبيعية الكاملة و التى يعيشها الملايين سواى .. لكن لم أستطع لاختلافهما الدائم وعدم تقارب الافكار و العقول سويا ..

بدأت طفولتى فى بيت لايعرف الهدوء ولا الاستقرار .. اصحو من نومى كل يوم على صوت والدى وقد وصل الى اعنان السماء .. يسبها .. يلعنها لترد عليه بنفس الطاقة .. اخرج من حجرتى لاجدها باكية .. ساخطة .. نادبة حظها العاثر .. لاربت على كتفها فى براءة وسذاجة لغير واع للاسباب او للحقائق .. لقد كنت طفلا لا اعى شىء وماصحبلنى حين ذاك سوى الدموع و المخاوف من أن يفترقا و احرم من احدهما .. عشت طفولتىكاملة فى هذا الحرمان من الاستقرار العائلى .. كنت اخرج مع والدى منفردين لاسمع منه كل الصفات المشينة عنها .. كل الاسباب لاداننها .. لاعود لها و اتفحصها فى طفولة ساذجة لاعنا ابياها لتسببها فى غضب ابى الذى مثلى الاعلى بكل الحنان الذى صبه علىّ بل بكل تدليل .. لأرى بداخلها حنانا حقيقيا .. عميقا محدودا حقيدا

ربما لانها ارادت ان تكون حازمة معي حتى تعوض تدليل ابي مفرط لي .. التي كانت دائما قلقة ثائرة خوفا علىّ منه .. افهمها كطبيعة الاطفال من ضحك لهم فهو حبيب ومن كان حازما اصبح عدوا .. صدقت كل كلمة مشينة سمعتها من ابي الذي كان يزداد كل ساعة في سبها ولعنها وادانتها .. حتى جاء اليوم الموعود والفيصل المحدود وضاق القلب بما حمل واحتمل .. فشلت كل المحاولات لجمع شتات المعيشة التي اصبحت مستحيلة وعز اللقاء .. بالفعل تركت البيت .. عاشت مع اخيها . طلبت الانفصال وحين ذاك لم يلب ابي طلبها بل ضاعف عناده ليكسر كبرياءها ويزيد في اذلالها .. توسلت اليه .. وقد باءت كل محاولاتها بالفشل الذريع .. لم تجد بدا من دخول ساحات القضاء لتلجأ للقانون والشريعة لنصرتها واخذ حقها المغتصب في محاولة يائسة لاثبات حقها .. لم تستطع .. طالت المدة مما جعلها تخرج لميدان العمل حتى لاتكون حملا ثقيلا على اخيها الذي كان محدود الدخل وايضا اعتبرتها نوعا من الترفيه عنها بدلا من حالتها المنطوية الحزينة لطول الانتظار .. وككل حدث شبيه بذلك فالمرأة دائما هي المدانة التي تقع عليها كل المسئولية في الدمار والخراب . غير تلك الاشاعات والاقاويل الكاذبة التي تشير اليها الاصابع في قسوة وجحود كل ذلك جعلني اصب لعنتي وكراهتي وحقدي عليها يوم بعد يوم

يزداد حقدي لها ساعة بعد ساعة .. تفقد عندي قدسيتها احترامها كامن ... أما أبي فقد اكتنزت له كل الحب .. كل الاحترام والتقديس .. مماجعله ينفذ الى قلبي ليستاثر به لنفسه في انانية وجهل غير عالم بخطورة ماهو فاعله .. كل ذلك جعل الهوة تتسع بيني وبينها مما جعلني اكره رؤياها واتهرب من كل مجادلة يائسة منها لرؤيي .. لم اعلم انها كانت تتمزق لفراقي .. تتالم لموقفي هذا وعاشت .. المسكينة شهورا بل سنين في حرمان تام تدفنه بداخل ضلوعها وحيدة تبتلع مرارة فشلها في زوجها وابنها الوحيد في صمت وسكون وكبرياء .. كم كانت جميلة .. عنيده .. تعتز بكرامتها .. كبريائها والذى كم ادماه فيها والدى المتهور المغرور وهى التى تحملته طوال عشرته لسنين كل ذلك كان من أجلى حتى لاتتركني رضيعا حين ذاك وهى التى ابتلعت مدمتها في ابى وفشلها في التقارب الذهني بينهما والذى اكتشفته عقب حملها في .. صبرت طوال السنين على مضض حتى لاينزعونني من صدرها الى ان اتى اليوم المشئوم ونفذ صبرها وثارت فيه كرامتها الذبيحة لتخرج مقسمة انها لن تعود .. وحين اذ قاطعه الطبيب في اطمئنان ليشعل له سيجارة من اخرى قائلا في مزاح جدى ..

– اذا ما المشكلة هنا وانا اراك تتهم لامك وقد كبرت وعرفت حقيقة موقفها .. وتدافع عنها .. وانى لا احترم فيك ذلك ....

وقبل ان ينتهى الطبيب من كلماته وتعليقه عليه حتى تنبه «وحيد» في سرعة خاطفة

اعتدل كأنه تلقى صفعة قوية على غفلة منه .. ضغط يده في حركة عصبية تشنجية .. تقلصت يداه ضرب الحائط حتى ظن الطبيب أنه أخترقه من قوة الرطمة والتي نتج عنها شرخ وجرح هائل بيده .. أسرع الطبيب في حركة خاطفة لاعطائه حقنه مهدئا وبينما كان الطبيب منصرفا عنه بتضميد جرح يده سمع منه كلمات غامضة غير مرتبه لم يفهم منها حرفا واحدا ..

سأله فور انتهائه من تضميد يده وقد كان متألما منها بعض الشيء .. سأله بالحاح لتكملة القصة ..

ـ «وحيد» هات ماعندك .. اكمل قصتك .. وما هي المأساة اذا بعد ذلك ؟

استدار وحيد في حركة بطيئة ليتفادى أي ألم ليده المصابة ليكمل المأساة ...

ـ الحرمان .. الحرمان .. المشاكل .. العقبات التي صادفتها المسكينة جعلتها تلجأ اليه .. تأوى الى صدره عسى أن يتحمل عنها القليل .. علها تجد المشورة والرأى السديد .. تحكى اليه .. ليفهمها .. يشاركها احداثها الدامية وحرماناتها القاتل .. حدث .. حدث بالفعل .. تقاربت الاراء .. التحمت المشاعر .. وائتلفت الارواح .. تعانقت القلوب .. احبها .. عاونها بكل الحنان في الحب الذي اكتنزه طوال حياته لها .. أخذ بيدها ربت على كتفها .. سمعها .. قدرها ..

ووثق بها كل ثقة العالم .. واعدا اياها بتعويضها عن كل حياتها السابقة والتي ضاعت بلا اي ثمرة حلوة تغير طعم المرارة التي عانتها طوال حياتها السوداء مع ابي والناس الظالمين لها ولمبادئها المقدسة والتي لم يفهمها ولم يقدرها مخلوق ســـواه <<سامي>> .. الاستاذ سامي المدير الذي كانت تعمل في شركته .. رجل ارمل .. ماتت زوجته من سنين .. ظل بلا زواج بعدها حـافظا لذكراها .. الى ان صادف امي المسكينة .. اعجب بذكائها .. وجدها في عملها حتى اصبحت السكرتيرة الخاصة له .. قربت الاحاديـــث الشخصية بينهما محاولا تفسير تلك النظرة الحزينة في عينيهـا التي لم تفارقها الدموع وحدث ماكان يخيف ابي المغرور القاسي. ظهر له الاستاذ <<سامي>> محاولا الاصلاح بلا فائدة .. تـكــررت المحاولات .. ازدادت المشادات حتى صارت بصورة علنية وتحد ظاهر امام الجميع كعادة والدي .. مهاجمتها .. ادانتها .. سبها .. رد عليه الاستاذ <<سامي>> بالعكس الصحيح .. مما جعل والـــدي يتمادى في اتهامها بالعلاقة المريبة .. وصار في جهل وعناد لكل ماهو مشين بينها وبين مديرها وكلما حاول مهاجمته علنا وتحديه بكل الوسائل التي باءت جميعها بالفشل ليرتد بعدها لضحيتـــه الصغيرة التي لم يجد سواها للتنفيس عليها وبث كراهية وحقــد العالم في صدر الصغير ضد امه .. نجح بالفعل في خطته الغيـر مقصودة والتي انتهت بي لان أكون مجرما .. قاتلا .. ثم متهربـا

من السعد الة لاشعر بالحرية القاتلة؟ التي اعيش فيها الان لاضع احب الناس الى قلبي بدلا عني في رضاء منها وهدوء وسكون وصمت طال الى الموت ...

سكن <<وحيد>> لاذ بالصمت ومرة اخرى بدت عليه علامات الخسوف الذهول .. مرارة غريبة في عينيه .. أسى وحزن بدا على وجهه الشاحب .. اخذ يهز راسه هزات عنيفة ينادى .. يتوسل في صوت ذليل وخيبة أمل ذريعة .. يصرخ ..

ـ قتلته .. قتلته .. نعم أنا القاتل .. أنا القاتل .. لست أنا السبب .. ابي هو المذنب الحقيقي .. خلق مني مجرما وبلا قصد انتزع الحب من قلبي ليضع مكانه كل الحقد والكراهية لهما مستاثرا بي له وحده .. مظهرا لي سوء حالته .. تدهور صحته .. انحق السبب بها .. كم أجبرني على الاستيقاظ من نومي لأراه باكيا حزينا عل تدهور صحته التي ساءت بسببها .. كل ذلك دفعني بلا أدنى تفكير أو تردد لاذهب اليه .. لاأدرى لماذا ذهبت ؟ هل لاستعطفه ليترك امي حتى تتهمه بالخسة ليجبرها على العودة .. أم ذهبت لاهدده أم لاقتله .. لم أستطع أن احدد هدفي وأنا الذى كنت ماذلت صبيا .. ذهبت اليه وانا في شبه غيبوبة كاني المخدر .. صعدت السلم وصورة والدي الذى كان يتعذب من الالم لم تفارق خيالي فكلما تذكرتها كلما ازداد حقدي عليهما .. ضغط الجرس بعد تردد لم يدم طويلا

فتح لى .. ورأيته بملابس النوم .. وقد كان واضحا عليه آثار مرض واعياء .. دخلت اليه .. كلمته فى قسوة بالغة .. لم أتذكر تماما ماذا دار .. لكن كل مافى خيالى وذاكرتى انه كان لطيفا للغاية .. مقسما لى انه ليس السبب وأن المشكلة بين والداى كانت قائمة من قبل وجوده فى حياة امى .. وانه لامانع من أن يكون صديقا أو أخا لها يعاونها ويساندها .. رفضت لطفه .. لحظات الصاحه صددت بوجهه كل التوسلات فى أن يصبح صديقى ليقف بجانبى هو الاخر واعدا اياى أن ألجأ اليه وقت الشدة قائلا انه لامانع من ان يكون لى فى الحياة اكثر من اب .. واعدا اياى ان يكون لى نعم الصديق واوفى رفيق لى ولامى المسكينة .. حاول ان يفسر لى موقف امى من ابى .. ذلل امامى كل الصعاب دلدغها ليظهرها فى صورة طبيعية مقبولة وعلىّ أن أتقبلها بترحاب وتفاؤل .. قال .. وقال .. تكلم كثيرا .. توسل أكثر واكثر .. الح فى طلبه ان يتركنى لاجعله صديقا واعدا انه سيكون هدية من السماء لى ولامى . مدافعا عنها مستميتا فى تبراتها .. قال كثيرا وكان كلامه .. جميلا .. صادقا .. عاقلا ... لكن للاسف ابن كل ذلك منى .. من قلبى الذى كان وقتها لا مكان فيه لحرف واحد من كل ماقال .. كان كلامه كالورود التى قذفنى بها لترتطم بجدار عنادى وكراهيتى السوداء لتتساقط ذابلة بلا فائدة بل لم أسمع صوته قط .. كل ماكان يدور براسى صوت ابى .. مرض ابى تظلم أبى .. اشاعات ابى . ابى .. أبى .. أبى .. لا احد سوى أبى ..

شردت قليلا ابتسم المسكين وربما فهم من صمتى القصير أنه بدأ التأثير على .. ربما .. ولكن فى لحظة خفت أن يؤثر على بكلامه المعسول .. لم أدر ساعتها ان كل هذا يخرج من القلب الطيب النادر الذى كان على اتم الاستعداد لتحمل امى بجميع مشاكلها وتعويضها لحرمانها وانتظارها .. خفت ان يؤثر على ليضمنى اليهم واترك ابى وحيدا .. مريضا .. فاقضى على البقية الباقية .. صرخت فيه دفعته عنى بعد ان كان يريد ان يحتضننى ليقبلنى .. لم أدر بنفسى الا وأنا التقط ذلك السكين الذى كان فى طبق الفاكهة على المنضدة والذى التقطته بسرعة خاطفة لأطعنه فى قلبه ليسقط على اثرها يتردى فى دمائه .. مستجديا اياى أن أساعده على طلب الاسعاف .. كنت مذهولا وقد شعرت ساعتها بالتشفى والانتصار متوهما انني سوف احمل لابى اجمل هدية .. شعرت بيد على كتفى وصرخة مكتومة .. استدرت فى ذهول .. رأيتها فى عينيها ذهول وفجيعة إنها امى .. صرخت فى صرخاتها المكتومة الملتاعة ..

ـ <<وحيد>> يامجنون .. ماذا فعلت ؟

رددت فى خوف وتردد

ـ مش عارف .. مش عارف .. أنا عملت كده ليه .. أنت السبب ..

ولم اشعر بنفسى الا وهى تاخذ السكين من يدى .. وتدفعنى بيديها فى قوة هزيلة .. ضعيفة

أخرج ولا تتكلم ! ولا تقول شىء .. أى شىء ! اوعى <<ياوحيد>>

اوعى . روح نام ولا تقول اى شىء .. فاهم أخرج بسرعة

لم اشعر بنفسى الا وانا أجذبها معى فى طفولة وسذاجة كأنى لم افعل شيء .. فقد شعرت ساعتها اننى أضاف عليها هى الاخرى ولما لا وأن احترق القلب الاخضر لن تلاحقه نيران الحقد فى جذوره التى مازالت تحمل بين طياتها حبى لامى .. ولما لا وهى أمى

قالت لى وهى ممسكة بيدى بيدها المرتعدة الباردة

ــ يامسكين انت ضحية ابيك مثلى .. لكن لم استطع أن انقذك من براثنه لتنجو معى بعيداً عن سمومه .. وقد جعل منك مجرما .. قائلة " يامسكين .. اخرج وسوف أتصرف أنا .. ذهبت ذلك اليوم لم انم ليلتى .. ولم اجرؤ على أن اصارح أحد بجرمى بل ضغطته كتمته فى صدرى بين ضلوعى حتى أصبح كالبركان الذى على وشك الانفجار .. فقد قدمت امى نفسها فداءا لى .. واعترفت على نفسها بانها هى القاتلة لتفدى ولدها من مصير اسود كان ينتظره من جريمة راحت فيها حياة أثنين من الابرياء .. ضحايا الحقد والكراهية .. مازال الماضى فى صدرى يحيا وتعود أمى فى أحلامى لترانى باكية .. محذرة .. ناصحة لى بزرع الحب والسلام فى كل مكـــان

****

****

وهل تضيع الملائكة

وهل تضيع الملائكة

بين عشرات وعشرات من النساء والرجال جلست وكلى عزم واصرار على تقديم يد العون لكل محتاج .. فقد كنت احدى عضوات الجمعية الخيرية فى مدينتنا .. كنا جميعا يجمعنا هدف واحد هو حب الخير ومساعدة الفقراء والمرضى .. كنا نقوم بزيارات كثيرة للمستشفيات والملاجئ نحاول توزيع ماتجمع لدينا من تبرعات واعانات اهل الخير ...

فى هذه المرة كنا فى زيارة لاحدى المستشفيات حيث اقيم لنا حفل استقبال كبير فى حديقتها .. لقد كان المكان جميلا حقا .. بعض المرضى يجلسون وسط خضرة الحديقة فى منظر تسر له عين الناظر .. بعض الممرضات يملأون المكان فى زيهم شديد البياض .. مجموعة الاطباء تجلس فى المقاعد الامامية .. الكل فى حالة تأهب . انتظارا لبدء الحفل .. طال الانتظار .. بدأت اسأل .. لم كل هذا الانتظار .. لم اسمع سوى كلمات تهدئة باسمة تحثنى على الانتظار حتى تحضر ضيفة شرف هذا الحفل زوجة احد الشخصيات الهامة فى مدينتنا .. طال وطال الانتظار .. بدأ الملل يتسرب الى صدرى .. يئست من حضورها .. حاولت طرد ذلك الملل بالتجول بين حجرات المستشفى علنى استطيع تمضية الوقت حتى حضور ضيفتنا الكريمة العزيزة ...

اجتزت ذلك المدخل المنسق .. المزين .. الجميل .. متحملية صالة طويلة .. بدايتها نظيفة .. قد تم طلاء جدرانها منذ وقت قصير .. وبعد طول مسيرتي .. تبدل الحال .. انقلبت النظافة الى اهمال شديد .. الجدران بالية .. نظرت في الحجرات فاذا بها عكس ما رأيت كان الايدى لم تمتد لنظافتها منذ سنين طويلة .. شعرت بصدرى يضيق .. انفاسى تختنق .. نفسى تشمئذ مما رأيته أمامى فى مستشفى من المفروض أن تكون على درجة من النظافة تساعد مريض الصدر على اجتياز مرحلة مرضه اللعين الى درجة الشفاء الكامل بكل الوسائل .الغذاء الذى لارعاية فيه .. العلاج .. الدواء الذى لاكفاية فيه ..النظافة والتعقيم الذى لاوجود له تماما .. بل العكس هو الصحيح .. سرت متثاقلة متقززة من رائحة المكان ومنظره .. وكآبته .. كم اشفقت على المرضى المساكين الذين كم رأيت تلك النظرة الضائعة فى عيونهم كأنهم ينتظرون كل بدوره ولاحول لهم ولاقوة ...

تساءلت .. صرخت .. أين الطبيب ؟.. اين المسئولون دخلت الى اقرب مكان يمكن ان ارى به طبيب أومسئول فلم اجد .بعد صعوبة شديدة .. رأيت طبيبا جالسا .. يمسك الجريدة .. يدخن سيجارته في ملل وقرف.. ينظر في

ساعته بين الحين والحين كانه يريد ان يجر عقارب ساعته حتى ينتهي وقت ورديته حتى يخرج الى حيث الحرية والانطلاق ...
شعرت من خلال حركاته انه مقيد .. سجين ينتظر وقت الافراج ...
اقتربت منه .. سألته في استفسار ثائرة ...
كيف تتركون المرضى بهذا الوضع ؟وكيف تعملون بهذا المكان الى هذا الاهمال والتسيب الذي اراه ؟

قاطعني بسرعة قائلا :

- هدئي نفسك يا هانم .. ليس ذنبنا .. انما هذه هي الامكانيات متاحة لنا . ماذا سنفعل ؟

تركني وانا الطم كفاي ببعضهما فيحسرة والم .. تركني كان مأموريته قد انتهت عند هذا الحد .. استدرت تاركة المكان وكلي حسرة والم .. وبينما وانا في طريقي سمعت استغاثة ... انين .. تشنج .. واضح انه من احدى ضحايا نزلاء تلك المصحة ..
انتظرت ان ارى او اسمع اية حركة لاسعافه وياليتني ما انتظرت ..لقد ذهلت .. صعقت مما سمعت .. رأيت مخلوقة بشعة .. قذرة الأخلاق مهملة المنظر تصرخ فيه مهددة اياه أن يخفض صوته آمرة اياه بالصمت والصبر حتى حضور الطبيب الذي لا وجود له ولا اثر . فقد ذهب بدوره الى دنيا الانطلاق والحرية .. لم اجد بدا من الذهاب اليه بنفسي . وجدته باكيا .. حزينا . مددت له يدي اربت على كتفه الهزيل . اقصد عظام كتفه البارزة . رأيت

بوجهه الشاحب الهزيل ألف ألف معنى للألم .. لليأس ..
للحزن .. جلست اليه وقلبي بل كياني يتمزق من رؤية دموعه تنهمر في سخاء وألم ... بكيت لبكائه .. حزنت لأحزانه .. طلبت اليه أن يسألني أي شيء الجيه له بنفسي .. واعدة اياه بتقديم كل معونه على قدر امكاني .. نظر لي بكل عينيه .. مد يده ليمسح دموعه المنهمرة بلا انقطاع .. ترتعد شفتاه .. تنتفض يداه .. قدماه بل ينتفض كل جسده .. بينما أمد له يدي حانيه في رفق وحزن رأيته يهم سريعا في حركة خاطفه ليجذب يدي ويميل برأسه في حركة ذليلة .. كسيرة ليقبل يدي

— انا في عرضك ياست هانم

رددت في هدوء حزين

— اي خدمة .. أي علاج .. ماذا تريد ؟ انادي لك الطبيبه ..

رد في ذلة وانكسار

— ياست هانم .. انا مش مهم في عرضك أولادي زوجتي في خطر ..

ارجوك .. ارجوك .. الحقيهم .. أرجوك .. أتوسل اليك .

هنا أدركت أن هذا المريض يعيش مأساتين داميتين .. مأساة حياته .. محنته .. ومأساة أسرته .. زوجته .. أطفاله ...
قبل أن يدفعني فضولي لسماعه أدركت لابد وأن هناك ميعاد لحقنة أو دواء .. سألته .. عرفت منه ما فكرت فيه .. همست وأعطيته

الدواء بنفسي .. احضرت الحقنة .. اعطيتها له حتى يهدأ رويدا .. رويدا .. وقد رأيت ذلك واضحا في قسمات وجهه الذي بدا عليه مسحة من الراحة المؤقتة .. مما شجعني بعد ذلك أن أقسم لسائله في استفسار ملح على تقديم المساعدة .. ابة معونة له .. سالت اياه أن يكمل قصته .. بل ماساته ..

نظر لي في استجداء .. حزين .. مكلوم .. قائلا لي قصته التي سردها بكل هدوء وخجل :—

انا ياست هانم كنت ماسحا للاحذية .. آكل لقمتي من عرق جبيني .. وكنت والحمد لله مستور الحال .. ماشي في الدنيا بالعافية .. الى أن تزوجت وأنجبت سبعة من العيال .. اصبحت لا ادري من أين اطعمهم ؟ .. ومن أين أعول هذه الكتل البشرية السبع ؟ مما اضطر زوجتي المسكينة أن تخرج للحياة .. عملت خادمة .. كدت .. تعبت والحمد لله .. القرش جرى في ايدينا .. كنت أكره نفسي كلما وجدتها تعود لي ولاولادي منهكة بالتعب والمرض الذي يلازمها الآن .. كرهت حياتي .. احسست بالضياع .. دخلت في دوامة .. تعاطيت المواد المخدرة بكافة أنواعها .. كانت هذه هي البداية لمرض اللعين ثم انسقت وراء شلة السوء علني أجد المخرج .. هربت من مواجهة واقعي المرير لاجرب حظي في لعب القمار على أمل المكسب الكبير لكن وأسفاه أضاع مني الكثير من قوت ورزق أولادي وعرق زوجتي المريضة المسكينة

وها أنا الآن أجنى ثمرة استهتارى واستسلامى لرفقاء السوء وادمان المخدرات .. ضاعت صحتى .. اعتل بدنى .. ضاعت زوجتى ضاعت أولادى .. انهم الآن فى ذلك البيت القديم المتهالك .غير الصحى .. لقد صدر قرار بازالته لانه آل للسقوط .. لقد انتهى عمره الافتراضى ومع ذلك نتمسك به فهو المأوى الوحيد لزوجتى وأولادى .. زوجتى حامل فى شهورها الاخيرة وقد ضعفت صحتها ... تقاسى المرض وآلام الحمل .. خدمة أطفالى السبع .. والآن انقطعت أخبارهم عنى تماما .. مشغول .. ازداد قلقى وهمى .. فوق مرضى عليهم .. أرجوك .. ارجوك .. بباشا هانم تاخدى العنوان .. وربنا يخليكى تشوفيهم .. تطمنينى عليهم .

بعد أن أكمل كلماته التى تحمل مأساة من مآسى البشرية المتكررة كل يوم من الفقر وضحاياه .. التقطت سريعا ورقة من حقيبتى وكتبت عليها العنوان بكل دقه .. وما أن هممت للانصراف وأنا أستمع لكلمات الشكر والامتنان والدعاء .ليعود مرة أخرى يلح فى مذلة وانكسار يكرر لى أن أطمئنه ويذكرنى بوعدى فى الحاح بل استجداء حزين .. وعدته .. كررت وعدى بأن أطمئنه .. انصرفت سريعا من أمامه .. أسفا على منظره المؤلم المؤسف الحزين ..

اجتزت الطرقة التى بين العنابر فى شرود وأسى على ما رأيت وسمعت .. أفقت من شرودى وغيظى المكتوم على تصفيق حاد

وقد امتلا المكان بالزغاريد والتهليل وكلمات الترحاب ..
فادركت ان ضيفة الشرف قد هلت بطلعتها البهية ونورها على المكان بعد انتظار طال أمده فقدت خلاله الامل فى حضورها امتلات عينى بهذا المشهد التمثيلى الهزلى وانا اسمع أصوات الاعداد والتجهيز لبدء ذلك الاحتفال المزعوم بتلك السيدة وغيرها من بين العابثين باصحاب الحقوق الضائعة .. الضحايا .. المظلومين
انطلقت كالسهم تاركة المكان لاعنة اياه وكل الحاضرين ..
محاولة نسيان مامررت به .. ماقابلته فى يومى هذا .. عسدا كلمات .. نظرات .. الحاح .. استجداء هذا المريض المسكين وعائلته الملحونة .. فقد كان كل ما اتذكره وكل ما يملا عينى واذنى .. رأسى .. صدرى هو قصة هذا الرجل المسكين واسرته الضائعة .. عدت لبيتى مجهدة .. متعبة .. مما رأيت .. وسمعت .
خلعت ملابس فى اهمال .. متكاسلة متراخية .. تناولت غدائى .. وبينما انا جالسة على منضدة الطعام .. تذكرت فجأة .. شردت مع كلمات الالحاح والاستجداء .. أسرعت لملابسى .. حقيبتى .. افتش فى توتر وقلق خوفا من ضياع تلك الورقة التى تحمل العنوان الذى اعطانى اياه << عم حسنين >> .. وجدتها .. ورأيتها .. فرحت بها كانى عثرت على شىء ثمين ذو قيمة كبيرة .. ولما لا وهى بالفعل ستحمل كل الامل لنفوس ضائعة .. مهملة .. مريضة .. تنتظر اية معونة او اعانة .. لم اكمل وجبتى ارتديت ملابسى مرة

ناشية . هبطت السلم سريعا . انطلقت الى عنوان <<عم حسنين>> اهتديت اليه بعد طول عذاب رحلة شاقة اجتزت خلالها حارات وشوارع وأزقة لاتصلح للمعيشة الآدمية . علاوة على ما رأيته داخل المواصلات وصعوبة التنقل فيها .. أخيرا .. أخيرا .. وصلت .. طرقت الباب بخفة وهدوء فقد كان واضحا عليه علامات التهالك . عبارة عن مجموعة من الصفيح المتراص .. يعلوها طبقة من الصدأ .. انفرج الباب فاذا أمامى طفلة لم تتعدى الثمانى سنوات .. هزيلة .. ضعيفة . شاحبة لا يستر جسدها الهزيل سوى خيوط قد ارتبطت ببعضها البعض .. يتدلى شعرها فى اهمال على رقبتها التى يعلوها التراب والطين كأنها لم تغسل منذ ولادتها .. صعقت من منظر هذه الطفلة البائسة المسكينة .. شردت .. تسمرت قدماى .. لم أفق الا على صوت كان الأنين يأتى من الداخل تنادى به صوت سيدة . لترد عليها الطفلة فى براءة :ـ

ـ<<مش عارفة يامه واحدة ساكتة . واقفة . مش راضية تتكلم >>

تداركت نفسى سريعا وقبل ان أقم بالسؤال .. رأيتها .. سيدة فى الاربعين أودونها قليلا .. ربما اكثر بكثير ولكن عوامل الهرم والمرض اضافا الى وجهها وجسدها الهزيل المماثل لطفلتها الكثير والعديد من السنين .. والتى أظهرتها كثيرا .. اكبر من عمرها الحقيقى .. خرجت لى فى خطوات متعثرة .. متثاقلة .. تجر القدم تلو الاخرى فى صعوبة متناهية .. تلتقط انفاسها

بصعوبة بالغة .. مهلهلة الملابس والصحة معا .. سألتني

في دهشة قائلة :ـ

ـ أهلا وسهلا .. مين حضرتك .. عايزه حاجة ياست هانم ...

ردت عليها .. وقد اقتربت أن أبكي على حالتها المتأخرة ..

اليائسة ..

ـ انت الست <<سعدية >> زوجة عم <<حسنين >> نزيل مستشفى الصدر

ردت في سرعة خائفة وكأنها حريصة على الاتسمع خبر سيء عن زوجها

المريـــض

ـ أيوه .. فيه خير .. فيه حاجة .. وحياة النبي فيه ايه ...

رددت عليها سريعا محاولة أن أطمئنها عليه :ـ

ـ لاياست <<سعدية >> أطمنتني عم <<حسنين>> بخير .. ده بس مشغول

عليكم .. وباعتني أطمئن عليك وعلى العيال .. علشان بقاله اكثر

من شهر ماحدش بيسأل فيكم ..

قبل أن أكمل كلماتي المطمئنة لها وجدتها تستند على الحائـــط

الذي هو الآخر في حالة أسوأ من حالتها المتهالكة .. تضع يدها

على صدرها في محاولة لالتقاط أنفاسها الناشئة منها بسبب حالة

الخوف والتوتر على زوجها .. بدا على قسمات وجهها الشاحب الذي

تبرز عظامه في اعلان واضح وصريح عن سوء تغذية مزمن . طويل الأمد

ـ يعني وحياة النبي حسنين بخـــير

ـ صدقيني ياست سعدية هو بخير .. بخير الحمد للـــه

بعد برهة استدارت سعدية في بطء شديد قائلة لـي

ـ اتفضلي يا ست هانم .. الحته مش قد المقام دخلت خلفها .. تعثرت قدماها .. كانت على وشك السقوط .. اندفعت خلفها في محاولة خاطفة للحاق بها قبل أن تصطدم بالارض .. التقطتها لحقت بها .. اسندتها بكل ما أوتيت من قوة .. خوفا عليها وعلى الجنين الذى مازال باحشائها .. رافقتها خطواتها البطيئة .. المرتعدة .. أوصلتها لفراشها .. بالاسف على ما رأيت .. بطانية .. اقصد بقايا بطانية مهلهلة بها ألف رقعة .. تفترشها فوق حصيرة .. في نهاية الحصيرة قطع مبعثرة مهلهلة من بقايا قماش .. تلتف ببعض قطع القطن الاسود المتسخ .. اكتشفت بعد ذلك بصعوبة أنها وسادة للراس في ركن من أركان الحجرة .. اناء فخاري به القليل من الماء .. بجانبه صفيحة فارغة .. وكوب من الصفيح عليه مسحة من الصدأ .. التفت حولي اتفحص المكان الكئيب المختنق كانه القبر المهدم .. المخرب .. الموشك على الانهيار .. شد بصرى منظر من ابشع ماتراه العين البشرية من مأساة للفقر والجوع .. سبعة من الاطفال يجلسون في هدوء وهم في حلقة يتوسطها فتات الخبز .. يلتقطون مسحات من الجبن والفول الذى اوشك على الانتهاء .. يمسحون بلقيماتهم .. الصغيرة الملتقطة البقايا الضئيلة مما تبقى في طبقهم البالى . تمتد الايادى .. فتخرج فارغة بلا اى عالق بها .. قانعين او غير ذلك

لمحت فى عيونهم كل الحرمان والجوع .. علامات الفقر واضحة عليهم وعلى المكان .. هززت رأسي ساخرة .. أسفة مما رأيت أطفال ابرياء تأتى بهم للحياة القاسية .. لتدفنهم فى غياهب الفقر والحرمان .. تذكرت سريعا ما درسناه اثناء الدراسة عن قصة السيدة الفقيرة التى كانت تغلى الحصا فى قدر على النار لتوهم اطفالها الجياع بأن هناك طعاما يطهى لينا موا .. ثم تذكرت موقف أمير المؤمنين الفاروق عمر بن الخطاب من هذه السيدة وكيف كان يتفقد حال الرعية ليلا .. ثم بكائه مما رأى

تنبهت بل افقت من صمتى وشرودى الحزين على مأساة هذه الكتل البشرية الهزيلة الشاحبة .. التى لاذنب لها غير أنها خرجت لتعيش فى مستنقع الفقر والحرمان ..

— وحياة النبى ياست هانم <<ابو اسماعيل>> حالته شكلها ايه

تساءلت فى استفسار ملح تشوبه البلاهة

— <<ابو اسماعيل>> .. <<ابو اسماعيل>> مين ؟

ردت باسمة . بسمتها الحزينة والتى تخفى خلفها المرارة والالم

— <<أبو اسماعيل>> جوزى .. قصدى <<حسنين>> إبو الولاد ردت فى ضيق .. اثر مايحدث ى من صرخات على المأساة التى أراها أمامى

— <<أبو اسماعيل>> كويس .. المهم انت ياسكينة وحالتك التى يرثى لها .. والولاد اللى شايفين دول عاملين ايه ..

— يعنى هنكون عاملين ايه .. ياست هانم .. أهو زى ما انت شايفة

حالتنا لاتسر عدو ولاحبيب.. وانا مش قادرة على عمل اى شيء .. خلاص .. باقضيها ايام .. بس خايفة على العيال.. وربنا يسترها لغاية لم ابوهم يطيب ويخرج لهم .. قبل ما امـــوت ..

هممت أن اصرخ فيها والدموع قد ملات عيناى ..

– الف سلامة تموتى ما انت كويسه .. عندك ايه .. حاسة بايه .. ليه سايبه نفسك كده .. ردت فى استفسار

– يعنى ايه ياست هانم سايبة نفسي كده .. طيب اعمل ايه

– روحي للدكتور ..

رددت باسمة ساخرة

– دكتور.. دكتور مين ياست هانم .. اسكتى الله يسترك

انا رحت المستوصف والست الدكتوره قالت لى عندك سوء تغذيـــة ولازم تتغذى كويـــس

رددت سريعا

– طب ليه ...!!سرعان ما ادركت تفاهة سؤالى قبل ان اسالــه وقف فى حلقى .. ابتلعته فى يأس .. كتمته فى مرارة .. سالتها عن مصدر رزقها الان ومن أين تجد المال لمسايرة الحياة بـــدون زوجها العليل وكيف تقوم بالصرف على اطفالها الابرياء ..

ردت فى هدوء حزين ومرارة بالغة .. بحياء وخجل تكلمت

– آهي ياست هانم ربنا مابينساش عبيده .. وولاد الحلال كتير الواد <<اسماعيل>> بيشتغل شغلانه كده عند واحد بقال ..

والبت <<سيده>> بتساعد الست<<عليه>> الممرضة جارتنا عند الدكتور .. يعنى أهو ربنا ساترها وانا خلاص مش قادرة اشتغل رددت فى استحقاق وملل

ـ قصدك تقولى ان الولاد مش فى المدرسة .. يعنى ..

ـ مدرسة .. مدرسة آه ياست هانم . طيب منين حصرف عليهم فى المدارس .. صلى على النبى .. احنا لاقيين ناكل . ربنا هو العالم .. الشكوى لغير الله مذلة قلت فى استفســـار

ـ طيب ليه انت سايبه نفسك كده .. ماكان بلاش الولاد الكتير دول .. خصوصا وانت محتاجه للغذاء والعلاج

ـ غذا .. علاج .. منين ياست هانم .. وانت ست العارفيــــين .. الحاجه غاليه .. نار .. وان قدرت اشترى حاجه حتكفى مين ولامين .. مش ممكن يهون عليه اكل واسيب العيال جعانين

قلت لها ناصحة .. وكانى ادلها على شىء ذو قيمة لعلها تتعلم الطريقة ...

ـ طيب <<ياسعدية>> انت مش عارفه ان الجمعيات التعاونيه فيها كل شىء وباسعار معقوله .. دى الدولة مش عملاها علشان توفر لنا كل شـــىء ..

وقبل ان اكمل نصيحتى .. قاطعتنى فى تهكم شديد

ـ جمعية .. ايه ياست هانم .. هو انا الدر اسيب العيال والقفل واقفة من صباحية ربنا قدام الجمعية .. ست .. سبع ساعات اشوف

فيهم المرارة والذل من طول الانتظار وقدام عيني ..
بيخرج الموظف ويشتم فينا .. ويرمنا في طابور .. وكل شويه تلاقي
شاب تاله بضايقك .. ولما بيجي الدور عليي .. اسمع في بجاحة
صوت بيصرخ فينا من جوه الجمعية خلاص الفراغ ولا اللحمة ولا السكر
ولا .. ولا .. خلص مهو اصلنا فقلات البخت ياست هانم .. المحاسيب
والبهوات الحاجة تروح لهم بيتهم . ده حتى<<عبد الصمد افندى>>
مدير الجمعية في الحي بتاعنا شالوه وبيحققوا معاه دلوقـــت
علشان كان بيسرق قوت الناس الغلابه الى زينا ياست هانم .. انا
في عرضك متوجعنيش اكتر من كده وصلي على النبي .. داحنـــا
عايشين في غابة .. الغنى هو صاحب الكلمة ..القرش بيشترى كل
شيء حتى الضمير
ـ مش ممكن ياسعدية .. اذا كان فيه واحد منحرف وحرامي .. مش
لازم الكل يبقى حرامي .. الدنيا لسه بخير
ردت سريعا ساخرة
ـ طبعا ياست هانم .. ما انت هانم .. ومالكيش في الكلام ده ...
دانا كنت بشتغل عند بيه كبير قوى .. مش عارفة كانوا بيقولوا
انه مدير كبير قوى .. وكان عندهم خير اللهم صلى على النبـــى
مش عارفة جاى ازاى ومنين ده كان قبل الحاجة ماتدخل الجمعية
كانت تدخل عندهم الاول .. قولى يارب ياست هانم .. عرفت بقى
ان الغنى والى عنده سلطة هو القوى في زمنا دوت .

لم أدر بأى كلمات أرد عليها .. هل أعزيها فى حالها ؟ أم أعزى نفسى على تصرفات الآدميين فى زماننا هذا ! سألت نفسى هل انعدمت الانسانية ؟هل ماتت العدالة من قاموس البشر ؟ هل ضاعت الرحمة فى زمن الحياة ؟ كم أسفت لم سمعت .. تقززت نفسى من أغنياء لايعرفون عن الشرف شىء .. يتبارون فى جمع الأموال وبأية طريقة .. يتسابقون فى تغيير سياراتهم واقامة الحفلات .. ماذا سيحدث لو كلفوا أنفسهم فى بقليل من الجهد والقليل القليل من مالهم فى ادخال السعادة فى قلوب البشر .. ماذا لوكانوا سببا فى أن تعلو الابتسامة شفاة من هم أقل منهم غناءا .. صرخت فى إعماقى صرخة تزلزل لها كيانى .. قلبى .. ضلوعى .. من المسئول عن هذه المأساة التى يعيشها ملايين الأفراد فى كل أنحاء الأرض . استغفرك يا الهى .. أسألك مامصير هؤلاء الأطفال الذين يخوضون الحياة بلا علم أو معرفة .. يخرجون جياع محرومين .سيكون هدفهم الأوحد سد حرمانهم من جوع .. عرى .. بأية وسيلة .. سرقة .نصب أحتيال .. وربما يصلون لدرجة القتل .. هل سيجدون من يلتمس لهم العذر ؟ هل سيجدون من يقف بجانبهم ليقول بلسانهم .. ويستعرض حرمانهم .. جوعهم .. عريهم .. بالطبع لا وألف لا .. للأسف الشديد نحن البشر لانبحث البيئة الاجتماعية والنفسية والحرمان الذى يسحق هؤلاء المذنبين .. بل نعاقب وبكل قسوة لنصب لعناتنا ... سنقا عليهم .. ولاندرك ما الأسباب التى أو صلتهم لهذه النتيجة

البشعة المؤسفة مرة اخرى افقت نفسى بنفسى من هذه الدوامة البشعة والثورة المضغوطة بين ضلوعى .. وفكرى الذى كاد يحترق مما رأيت وسمعت .. اردت ساعتها أن آخذ هذه السيدة المتهالكة وهذه الكتل البشرية السبع لاقف بهم فى اعلى مكان ليراهم الناس خاصة المسؤلين .. الاغنياء .. المترفين المصمة آذانهم والعميا عيونهم عما فى مجتمعهم من ضياع .. يائسين .. ضحايا .. منكوبين لم اجد وسيلة انفث بها عن ثورتى سوى أن ابدأ بنفسى بمد يد المعونة بكل وسيلة وباى طريقة لهذه الاسرة التى لاحول لها ولاقوة فتحت حقيبتى .. فضضت كيس نقودى ولم ابق الا على قروش قليلة لمواصلاتى .. دسست يدى بها فى يد <<سعدية>> واعدة اياها ان اعود للسؤال عنها وايضا معاودة السؤال عن زوجها <<أبو اسماعيل>> فى المصحة .

* خرجت الى الشارع .كارهة أن انظر فى وجوه الناس الغافلين يبحث كل بدوره عن ملذاته .. كمالياته .. شهواته .غير عابىء بغيره حتى ولو وصل للدرجة التى رأيت فيها حالة سعدية وأطفالها السبع .ضحايا الجهل .. الفقر .. المرض .. الحرمان وبينما لم اصل بعد الى مدخل الحارة التى فى نهايتها يقبع ذلك القبر الذى يحوى بداخل جدرانه البالية كتل بشرية حية مريضة . تنبهت على صرخات طفل قد شد على يدى فى استجداء وخوف ذليل .. وقفت .. استدرت الى حيث مصدر الصوت انها <<سيدة>>بنت<<سعدية>>

سمعتها تصرخ باكية .. مرتعدة ...

ــ الحقى .. الحقى .. أمى حتموت .. الحقيها والنبى

لم انتظر أن تكمل الطفلة كلماتها المكلومة على أمها ... اصطحبتها . سريعا رجعت معها بكل اللهفة والقلق .. دخلت وجدتها ملقاة على وجهها .. تعض الارض وطينها .. تشد شعرها .. تصرخ فى أنين خافت هزيل .. ضعيف . ما ان رأتنى حتى نظرت لى نظرات لن أنساها .. سمعتها تقول :

ــ الحقينى .. الحقينى . يا ست هانم أنا بموت

استوضحت الامر سألتها هل اكتملت شهور الحمل ؟

قالت وهى تعض فى اصابعها

ــ بيظهر كدة برضه أنا بولد .. أنا فى عرضك يا ست هانم ماتسيبنيش

ايقنت سريعا أن المسكينة محتاجة الى معونة سريعة توا خرجت .. طلبت لها الأسعاف .. رجعت لها مسرعة أسألها عن الطريقة التى أستطيع أن أعاونها بها حتى يصل الاسعاف . سألتها ..

ــ من فى الحى يستطيع ان يأتى لمعاونتنا

لم ترد .. سألت أولادها والحزن والوجوم واضحا على وجوههم ... لم يردوا فقد كانوا فى حالة من الزعر والبكاء الخانق .. فى عيونهم وصدورهم .. طمأنتهم بدورى على أمهم .. ربت على أكتافهم ابتسمت لهم من وسط دموعى .. فقد كنت أنا الاخرى فى حاجة لمن يساعدنى يهدىء من روعى وروعهم ..

مرت ساعة واكثر ولم تصل الاسعاف بعد .. <<سعدية>>صامتة ساكنة .. تتقلص قسمات وجهها من الالم .. نزيف دموى هائل واضحا فوق ملابسها المهلهلة .. يداها الباردة تلمسعنى فى صمت .. قربت منها محاولة ان اطمئنها .. أساعدها على الكلام أحثها عليه . حتى تتناسى ولو لفترة قصيرة آلامها .

قلت لها باسمة ابتسامة مصطنعة :

ـ اطمئنى يا سعدية انت بخير .. الاسعاف جاى وكل حاجة ستكون بخير لاتخافى ...

لم ترد ....ابتسمت ابتسامة كل المرارة والالم والعذاب البشع الذى بداخلها .. لايدرى بها احد سواى واولادها المتجمعين حولها ..

اشارت لى بيدها الشاحبة .. الباردة .. ملت عليها سريعا ...

شعرت أنها تريد ان تقول شيئا وبالفعل قالت .. قالت بشفتيها التى بدأت تصبغ بالزرقة ..

ـ ولادى .. ولادى يا ست هانم .. فى عرضك .. ولادى ..

مالت نحو يدى لتقبلها بكل قوة جسدها الهزيل .لم تكمل .. لم تقدم اكثر من ذلك . غربت عيناها .. سقطت يداها من حول يدى . سكنت .. صمتت . هدأت والى الابد .. ظننت أنها فى حالة اغماء . وبينما وانا فى مخاوفى وقلقى ودموعى .. سمعت صوت سيارة الاسعا قادمة عند مدخل الحارة ..

دخل رجال الاسعاف فحصوها باهمال شديد بلا مبالاة ..

برم أحدهم شفتاه .. قائلا !

ـ دي ماتت .. آسفين ..

انصرفوا غير عابئين .. تركوها بين يدى .. صامتة .. ساكنة ..

انصرفوا بلا كلمة .. بلا تعزية . قائلين ..

ـ الاسعاف لايحمل الموتى ..

الاطفال فى حالة زعر .. صرخات .. بكاء .. تشنج .. الم .. خوف ...

كل هذا يا ترى هل على أمهم عائلهم الوحيد فى الحياة .. أم على الحياة نفسها .. و المصير المجهول و المستقبل الغامض الذيينتظرهم

شيعت الام لمثواها الاخير ز هممت أن انصرف .. التف حولى الاطفال يستجدوننى ليس بصرخاتهم الذليلة الكبيرة فحسب بل الابشع .. الامر .. تلك النظرات التى ينظرون لى بها من اربعة عشر عين تحمل كل واحدة منها رجاء .. استجداء .. عدم تركهم ..

يا لها من مرارة .. يا له من عذاب .. تهت فى دوامة التساؤلات الملحة .. ما واجبى الان ؟ ..اأذهب<<لحسنين>> أزف اليه خبره قدره الأسود اللعين .. وما التصرف فى أمر الطفال المنكوبين؟ تهت .. ضعت وسط الالف من الحلول .. لم تفارق عيونى صورة الام وحالة الاب وضياع الاطفال .. يا الله .. انت الخالق .. انت العائل .. انت العادل .. الرحمن .. الرحيم .. يارب .. ابتليت فرحمت .. اسقمت فاشفيت .. قدرت فاشفقت .. ثم تعاليت فانعمت ..

فسبحانك ربى .. والحمد لك وحدك .. لقد شاء القلب بما حمل واحتمل .. فمد يدك لتعول .. لترحم هؤلاء الاطفال الضائعين .. من غيرك يعلم بعبادك اكثر منك ..

اصطحبت الاطفال جميعا .. ذهبت بهم الى الملجا .. لادعهم يكملون حياتهم كما قدرها لهم الله .. تاركة ابياهم ذاهبة لابيهم ليعلم بدوره قدره .. اولاده .. فقد وجدته لم يشاء الله ان يسمعه نهاية ماساته البشعة ....

انتهت مسئولية الابوين .. ليخرج الاطفال فى الحياة وحداء لهم الله ....

****

وهل تضيع الملائكة

الجزء الثاني

* سنون مرت تطوى بداخلها الشهور والايام بلا مبالاة لما حدث تلك الكتل البشرية المكدسة بداخل ذلك المبنى العتيق المهمل فى سخرية ممن يحتويه من بسر بلا مأوى . بلا رحمة .. بلا عين ساهرة .. راعية .. حانية ...

دخلت متثاقلة منهكة لتادية الواجب الانسانى الذى حملته على كاهلى منذ <<عشر سنوات >> .. منذ أن وليت نفسى بالعناية بهؤلاء الاطفال السبعة بعد وفاة والديهم وتركاهما للمصير المظلم ... للضياع القاسى .. لقد رأيت أن اول مهمة لى أن أودعهم ذلك الملجأ اللعين حتى أعفى نفسى من المسؤلية لتحديد مستقبلهم المجهول ... كم اشفقت عليهم لعدم وجود قريب او صديق يخفف قسوة الظروف التى وقعوا فيها بلا رحمة ولا شفقة .. كنت أكلف نفسى السؤال والتردد عليهم من حين لآخر لرؤيتهم لمجرد الاطمئنان .. وتهدائهم ومسح دموعهم الضائعة ومخاوفهم المستمرة .. وكم حزنى نفسى مشهد إعناقهم الكسيرة .. عيونهم الذليلة .. صرخاتهم المضغوطة فى صدورهم الصغيرة المنهكة .. كنت أقوم بتلبية البعض الضئيل من مطالبهم الزهيدة محاولة اشباع أى نقص .. فى محاولة ضائعة .. يائسة لتتبدل نظراتهم الحزينة الذليلة الى شبه فرحة باهتة بما كنت إشتريه لهم من الهدايا الزهيدة التى كم اشبعت عندهم رغبة متواضعة ...

اقلقت على موت <<إسماعيل >> وهو مسرع نحوى فى خطوات

سريعة .. سعيدة بلقائى .. قبلته .. مسحت على شعره الاشقر الناعم

سألته فى استفسار ملح ...

- <<اسماعيل >> حبيبى. عامل ايه .. بتذاكر ولا .. اوع

السنة دى مهمة لتحديد مستقبلك ..

رد فى ذلة وانكسار

ـ ما طمنتنى ياماما .. انا بذاكر .. بس عايز .. عايز

لاحظت انه خجول .. امسكته من كتفه فى اصرار .. قلت له ..

ايه .. مش عيب تتكسف من ماما ؟طلباتك ؟

رفع رأسه فى هدوء ذليل .. محاولا اجبار عينيه ان تنظر لى وقد

على ملامحه الحيرة والخجل .. همس

- ماما .. الاكل هنا مش ..

قاطعته فى ارتياح مؤكدة علمى بذلك

علا ياحبيبى .. انا عارفة ان الاكل مش تمام وانت لازم تتغذى علـ

الامتحان والمزاكرة والسهر ...

سست يدى فى حقيبتى لاخرج له بعض النقود .. لمحته ارتبك .. اضطر

- ماما .. بلاش .. انا مش عايز فلوس من فضلك ..

تعجبت !! . تساءلت فى دهشـــــة ....

- يعنى ايه <<يااسماعيل>> . مش انت بتشتكى من ....

- ماما .. ارجوك انا .. انا بصراحة كل الفلوس اللى باخدها منك

مابعرفش اصرفها لوحدي ..

قاطعته في دهشة وزهول ...

- مش فاهمة قصدك ايه ..

بعد أن ضغطت عليه في الحاح واصرار أن يوضح مقصده ...

بعد أن استحلفني بالا ابوح بسره .. قال متلعثما "

- أصلي .. أصلي انا بديها للفراش فوق انصرافك ...

قاطعته في ضيق ودهشة ..

- آه .. فهمت .. الفراش هو اللي بياخدها منك بالضغط .. بالارهاب ..

مش كده .. انا لازم ..

قبل أن اكمل تهديدي في ثورتي العصبية .. انهار .. سقط تحت

قدمي باكيا .. راجيا الا افضح امره وأمر الفراش والا سيلاقي من

الهوان الوان ..

ذهلت .. صعقت مما سمعت .. من الخوف الذي يعانيه هؤلاء الابريـــاء

الخاشعون في الحياة ومن الحياة .. صرخت صرخات مكتومة .. مقيدة

.. كنت بين أمرين كلاهما شـــر ...

أن أطلب هؤلاء الذئاب البشرية الضارية لاواجههم بحقيقتهم البشعة

في سلب الحقوق الضئيلة التي اقتلعتها من قوتي الضروري لاسعادهم

تلك السعادة الباهتة .. المؤقتة .. التي لاتعوضهم ابدا لحـــظة

حنان .. لحظة عطف من ذويهم واحضان ابويهم ..

اردت .. تعجبت .. لكيف .. كيف يسلبونهم قروشهم البسيطة .. الا

يكفيهم مايعيشون فيه من حرمان وضياع وخوف من المستقبل المجهول

ليحيوا حياة ليس بها أى نوع من الرعاية او الرقابة

اليس يكفيهم اهمال شديد .. سواء فى الغذاء وطريقة طهيه ..

الكساء وطريقة تنظيفه وارتدائه .. المعيشة العامة والاهمال

والاستهتار الذى يبدو واضحا على حياتهم المبعثرة .. انهم يعيشون

بلا حياة .. لا علاقة لهم بالحياة سوى تلك الصدور الهزيلة والوجوه

الشاحبة ونظرة الضياع فى عيونهم الكسيرة .. الذليلة . يالها من

قلوب قدت من صخر .. اين المسئولين ؟ .. اين المشرفون .. أيـن

المراقبون ؟ . لاشىء . لاشىء ..

ارتددت من حيث بدأت .. انها ليست اول صرخات لى فى ذلك العالم

الضائع .. انها ليست اول تظلمات .. بل نداءات الى تلك القاسوة

المخربة المتحجرة .. هززت راسى فى اسف وقلة حيلة .. وما هو

.. ؟ وليس امامى وامام شكواى وتظلمى الى المسئولين عن ذلك

المكان سوى سماعى لكلمة واحدة لاثانى لها ؛

.. ان سيادتك مثل عجلة النظام .. ممكن تستلميهم .. ماعندناش

مانع .. واقسمت ساعتها بكل الاديان وبكل القيم ان كانت لدى

القدرة على ذلك لتسلمت الملجا باكمله .. لكنها ضيق ذات اليد

تنميت .. اقفت للمرة الثانية على تحشرجات وربما اسماعيا

بالا ابوح بسره .. الذى ولابد ان يظل حبيسا بين ضلوعنا الضعيفة

وما الفائدة مادام ليس هناك حل سوى الصمود والانتظار الممل

الحزين لمصير مجهول .. مستعتم ..

لم اجد أمامى سوى بعض الكلمات المشجعة له ولاخواته .. واعدة أياهم أن اقدم المساعدة على قدر الامكان وكيف أقدم مساعدة بين أن احضر لهم بعضا من الغذاء الرئيسى اليومى .. وجدت نفسى تساءل للمرة الثانية .. كيف ذلك ؟ وأنا المحدودة الدخل .. لبعيدة المسكن عنهم . فكم يعلم الله ما أعانيه من مشقة من زحام المواصلات وبعد المسافات بيننا وأنا الوحيدة وسط عالم الوحوش البشرية التى لاهم لها غير الجرى وراء جمع المال لانفاقه على الملذات .. غير عابئين بهؤلاء الابرياء .. الضائعين بلا مأوى أو سند فى الحياة سوى تلك الجدران الحجرية المتهالكة ..العفنة .. القذرة بما فيها من جماد وبشر ..

انصرفت باكية فو ممت مربى على مضد ..انطلقت كالسهم ..هاربة الله .. ولى الصبر ...

ترددت على الملجا فى زيارات متباعدة متعمدة ذلك كى لا أرى ولا أسمع ماترفضه عينى وتلفظه اذنى .. فكم كان يزيدنى منظرهم هما فوق همى .. بل حزنا يعلو احزانى .. تابعت فى شغف واضطراب أخبار نتائج الثانوية العامة .. كنت أول وأخر المهنئين له كم مسح ذلك الخبر السعيد احزان سنين طوال وعذاب عمر باكمله فقد نجح <اسماعيل>فى الثانوية العامة وبتفوق ...

ـ هيه .. وايه رايك عايز تدخل كلية ايه ..

ـ ماما .. لاتسخرى منى ولا تهزئى بى ..اريد .. الطب .. أريد أن أكون طبيبا ...

فتحت فاهى .. ابتسمت وسط دهشتى .. ضممته لصدرى . فهلت يده

لى فخر فلو كان لى ابن لما سعدت به هكذا .. سالته ..

ــ ليه .. اشمعنى الطب؛ يا اسماعيل ؛ بالذات ؟ احنا مابيزين نختصر

الطريق والطب كلية شاقة وطويلة ..

ماما .. ارجوك من فضلك .. ان حاسس ان ابويا مات من اهمال الاطباء

وسخريتهم بالغلابا الفقراء .. وانا ساركز رسالتى فى الطب على خدمة

الفقراء .. لاعوضهم حرمانهم . واعوض ابى بملايين الاباء وامى ايضا ..

ــ سعيدة .. سعيدة بك حقا .. ولم .. ولن امانع ابدا فى اختيارك

وتكميل المشوار وانا معك حتى لو حرمت نفسى من الطعام من اى شىء .

انا فخورة بكّ ..

لمحت فى عيونه اضطراب وحيرة .. تردد مع بسمة حزينة .. سالته فى

استفسار ملح ...

ــ طب دلوقت ليه الدموع دية والقلق ده ..

رد فى خجل ..

ــ مافيش بس <<سيدة>> اختى

رددت فى لهفة

ــ مالها .. فى ايه ؟ انا فرحتى بيك نستنى السؤال عن اخواتك ...

ايه مالها <<سيدة>> ؟

ــ بقالها <<اسبوعين>> هربانة .. مش لاقيينها .. دلبيه اشاعة انها

بتشتغل خدامة عند ناس ..

لم أتعجب لسبب هروبها .. فقد هربت من ضياع صغير الى ضياع

اكبر .. بل ربما تجد نفسها فى الخارج ..

ازداد عجبى عندما وجدته غير عابىء بها .. بل يلتمس لها الاعذار

من تلك المعاملة .. وذلك الحرمان البشع الذى يحق لها أن تهرب

منه حتى الى الجحيم .. ؛ انصرفت بعد أن هدأته واعدة اياه ان

احاول بكل قوتى البحث عنها فى كل مكان .. لم أكن صادقة كل

الصدق فى وعدى هذا فقد اختارت <<سيدة>> طريقها وربما ليه راحتها

.. قلبها الله وهو خير معين .. طوت الايام بعضها البعض .. وغيرة

.. رأيت انتى أطلب فى غيبتى على زيارة الملجا خاصة انتى رأيت

زوة شبيهة بصوره <<سيدة>> علمت منها أنها تعمل راقصة فى احد

<<كباريهات>> الدرجة الثالثة .. دفعنى فضولى للسؤال عنها

طلبت <<اسماعيل>> .. رأيته يتهلل لرؤيتى .. سعيدا بلقائى وقد

اسعدنى لقاؤه .. سألته عن اخواته فقد كان البعض يرفض لقائى

او يتهرب منى .. لم أدر السبب .. لقد فسرته بانهم يخجلون من

شكلهم .. المهم الاطمئنان عليهم ولو من بعيد .. اما عن اخواته

الصغار فقد كان يكفيهم منى بعض الحلوى التى كانوا يسعدون بها فى

براءة وطفولة كبيرة .. تساءلت

- <<اسماعيل>> ايه اخبار اختك <<سيدة>> .. الم تهتدي اليها ..

- نعم .. انها تعمل راقصة فى أحد <<الكباريهات>> ..

.. سألت عنها فلم أستطيع مقابلتها .. ربما خجلت مني بعد أن خدعها سيدها الذي خدمت عنده .. بعد أن وعدها بالزواج كان عهده .. ربما احبته بجنون ولم تستطع أن ترجع عن طريقها للطريق السليم فانحرفت مع تيار آخر .. لم استطع ارجاعها عنه .. حتى بعد أن نجحت في مقابلتها عدة مرات .. وأهي بتقول انه فن .. هي حرة ..

سألته عن اخيه <<سيد>> فقد كان في بداية دراسته لابهتم بها .. فسير مكترث بالعلم والتعليم .. يضع همه في تعليم حرفة .. فقال ..

- <<سيد>> اتعلم <<التجارة>> واصبح ناجحا وعظيما في حرفته الجديدة والجميع هنا بيحبوه وبيشكرون فيه دقة متعبة ..

سعدت لذلك .. اسعفتني ذاكرتي باسم احد اخواته

- <<سميره>> ايه اخبارها .. زمانها كبرت

- <<سميره>> اتجوزت <<حسنين>> الصباغ .. هبو بعض وسألوني فلم اجد ان ابارك زواجهما .. وأهي فرصة ترتاح من الهم اللي احنا فيه .. وكمان ماكانتش غاويه تعليم .. أصل عينيها كانت ضعيفة والاضاءة هنا تمام ..

اختصرت الطريق مع انها كانت شاطره وكويسة .. لكن اعمل ايه .. نصيبها .

انصرفت وانا حزينة لهذه الاخبار عن هؤلاء الانبياء الذين كم عاشوا من الحرمان وكم عانوا منه .. فكل اختار بطريقة الساذجة ومنهم من ضل الطريق عدا <<اسماعيل>> ..

مرة اخرى انقطعت عنهم مدة ليست بقصيرة فقد تركت السنين بصماتها على صحتي الضعيفة مما اجد الصعوبة في الاستمرارية في الزيارة .

ذات صباح وأنا اتناول الفطار .. امسكت بالجريدة بعدم اكتراث ..
هدنى خبر مؤسف .. رهيب عن سقوط عصابة لسرقة الأطفال وتعليمهم اصول السرقة والتسول .. قرأت السطور بسرعة لاهثة شاعرة ان ابطال هذه المهزلة اناس ضائعون .. ضحايا الحرمان والفقر .. هدنى صور بعضهم وصور امهات بعض الاطفال المختطفين وصور لبعض افراد هذه العصابة ..
الأعجب حقا ان زعيم العصابة امرأة وليس رجلا .. تابعت اخبار تلك العصابة لقد كانت تنشر اخبارهم بالتفصيل وعلمت ان زعيمة العصابة .. امرأة محرومة من الاطفال عاقر .. احبت زوجها .. وضيعها حبها عندما تركها زوجها ليقترن بأخرى للانجاب .. كان مآلها الشارع فانتقمت بهذه الطريقة البشعة .. لكنها سرعان ما انهارت .. اعترفت بجرمها بكل صراحة ووضوح عندما علمت ان ضحاياها ابن اختها الذى لم تعرفه الا بعد فوات الاوان فقررت ان تنهى سلسلة الانتقام بالاعتراف وسلمت نفسها للشرطة مرضية ضميرها .. تحققت من صورتها المنشورة بالجريدة بعد متابعتها بكل دقة وكم كانت المفاجأة !
انها هى <<سيدة>> تلك البنت البريئة الساذجة التى نامت مرتين ..

القيت بالجريدة فى تقزز .. انزويت فى فراش
لابدأ مرحلة حرجة من العلاج بعد أن انهارت
صحتى تماما .....

****

كتابات للمؤلفة

أفراح بين القبور (مجموعة قصصية) .. تم اصداره

كتابات تحت الطبع

1- الملعونة والقديس .... رواية

2- الأسماك لاتحمل الموتى ... رواية

3 - فتاة شاذة _ ترويض الذئاب



الكاتبة عبرت عن مشاكل ومعاناة بعض شرائح المجتمع المصرى وطبقاته المتفاوتة من غنى وفقر وحرمان والنفوس المعذبة ومشاكل الشباب ومعاناتها وتطرقت الى سلبيات المجتمع المصرى ووضعت بعض الحلول شبه المناسبة والتى ترجو أن تكون قد وفقت فيها ..

<< ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم >>

صدق الله العظيم

الزقازيق : ٨ ش تيمور - قسم النظام ت : ٣٣٩١٦١